

الرئيس مرسي يلتقي رئيس أنصار السنة ضمن وفد العلماء والدعاة

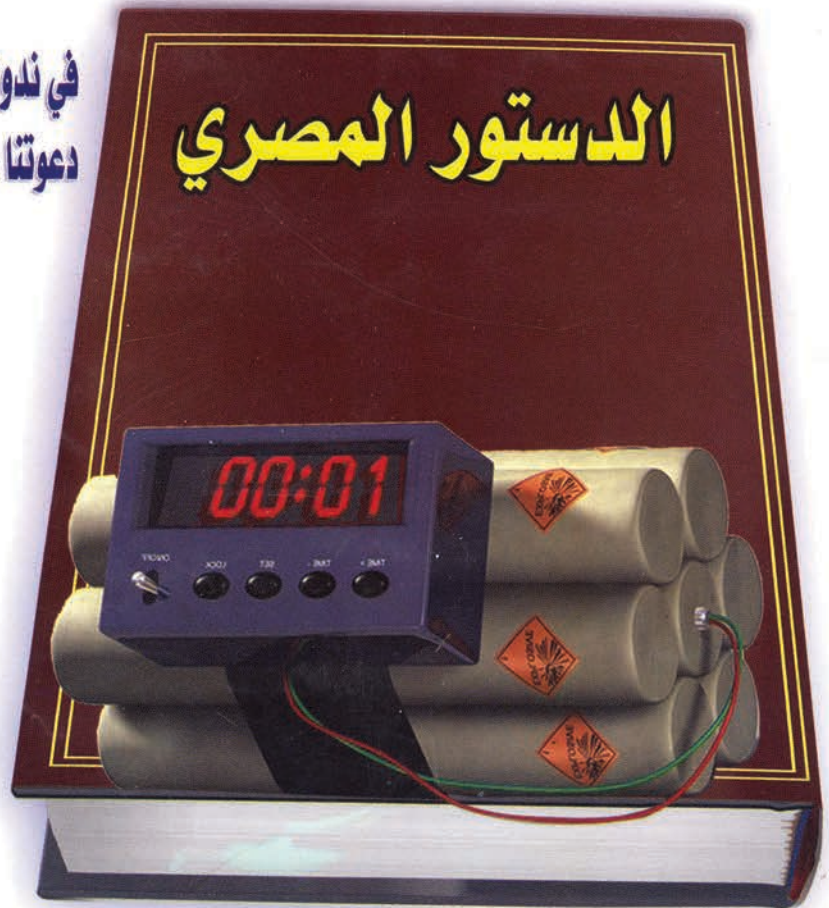
عام ماضٍ
وآخر قادم



في ندوة التوحيد الثانية بالشيخ :
دعوتنا : توحيد .. اتباع .. وتركيز

تأسيس تيار
الوسطية الإسلامي
في سوريا

النور



بيان مجلس شوري العلماء بشأن مسودة الدستور



فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة

د. عبد الله شاكرا الجندي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل

التحرير

٨ شارع قولة عابدين، القاهرة

ت: ٢٣٩٣٥١٧، فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٤٥٦-٢٣٩١٥٥٧٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي: q.tawheed@yahoo.com

السلام عليكم

أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ!

وبدا عام هجري جديد وانتهى عام هجري آخر، وهو شاهد على البلاد وأعمال العباد، وأودعت فيه الأعمال الصالحة، وأعمال الفساد، وأصبح من الناس تائب إلى ربه، ومنهم من ظل متمادياً في غيه.

وقد جاءت الأخبار من داخل السجن تقول بتوبة وزير الداخلية (السابق) المحبوس، ولا مانع؛ فالله يتوب على من تاب، ويفرح بتوبته، ولكن الشريعة قد أمرت الذي يتوب بأن يتحلل ممن ظلمهم كما ورد: «من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم». [رواه البخاري].

فينبغي لذلك التائب أن يبرئ ساحة المظلومين، ويكشف خطط المجرمين، ويرد لكل ذي حق حقه، ويفعل في ماله كما قال أهل التوبة الصادقون: «إن من توبتي أن انخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله» صلى الله عليه وسلم.

عندها يستحق اللواء حبيب العادلي لقب: «حبيب الله العادلي السلفي»!!

التحرير

تخدم القارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٤٠ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوجيه ص ٤٠ سنة كاملة

مفاجأة
كبرى



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس ، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلها.

ترسل القيمة بسويقت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة - حساب رقم ١٩١٥٩٠/

في هذا العدد

- ٢ افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكِر
- ٦ ندوة التوحيد: إعداد: رئيس التحرير
- ١٢ باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي
- ١٦ بيان مجلس شورى العلماء حول مسودة الدستور
- ١٧ باب السنة: د. السيد عبد الحليم
- ٢١ درر البحار: علي حشيش
- ٢٣ دراسات قرآنية: مصطفى البصراي
- ٢٦ كلمة التوحيد ثمرات وبركات: معاوية هيكل
- ٣٠ تحذير النبي صلى الله عليه وسلم للقضاة
- وقفات شرعية مع تطبيق الشريعة الإسلامية،
- ٣٣ المستشار: أحمد السيد إبراهيم
- ٣٥ من أخبار الجماعة
- ٣٦ واحة التوحيد: علاء خضر
- ٣٨ كذب الرافضة على علي، رضي الله عنه أسامة سليمان
- ٣٩ مقدمة في فقه النوازل: د. محمد يسري
- نظرات في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم:
- ٤٢ جمال عبد الرحمن
- ٤٥ باب الفقه: د. حمدي طه
- ٤٨ وقفات مع القصة: عبد الرزاق السيد عيد
- ٥٠ الآداب الإسلامية: سعيد عامر
- ٥٣ باب التراجم: صلاح نجيب الدق
- ٥٧ تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش
- ٦٠ المذهب الوسطي: د. محمد عبد العليم
- ٦٤ التربية وبناء الأمة: د. أحمد فريد
- ٦٥ قوا انفسكم وأهلكم: د. أبو الفتوح عقل
- ٦٦ عام ماضٍ وآخر قادم: عبده أحمد الأقرق
- ٦٨ نظرات في حديث قاتل المائة نفس: محمد رزق ساطور
- ٧٢ تأسيس تيار الوسطية الإسلامي في سوريا

٧٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والجمعيات
داخل مصر و٢٦ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

متخذ البيع
الوحيد بمقر
مجلة التوحيد
الدور السابع

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، لا معقب لحكمه، ولا مبدل لأمره، والصلاة والسلام على من بعثه ربه رحمة العالمين، وعلى آله وأصحابه الأطهار الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإني أكتب هذه الكلمات، والأمة تقوم بوضع دستور تسير عليه البلاد، وإنه لا بد لكل دولة من نظام تخضع له، وقوانين تضبط الأمور فيها، ودولة الإسلام يجب أن تحكمها شريعة الإسلام فحسب، القائمة على كتاب الله وسنة رسوله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم، وقد اشتمل هذان الأصلان على أصول الديانة، وقد بين الله فيهما كل ما يحتاج إليه الناس بياناً شافياً، ومن ذلك المسائل العقدية المتعلقة بذات الله تعالى، وما يجب نحوه من إفراجه بجميع أنواع التوحيد، وإثبات صفات الكمال الثابتة له كما يليق بجلاله وكماله، وسائر أركان الإيمان والإسلام، كما اشتملت الشريعة على بيان الأحكام العملية التي درج العلماء - رحمهم الله - واصطلحوا على تسميتها: بفقه العبادات والمعاملات والبيوع، والجنابات، والحدود، والموارث، وغير ذلك. كما تشتمل أيضاً على سائر ما جاء في جانب الأخلاق والسلوك.

●● أفير الله أبقي حكماً؟

وكل هذه التشريعات من الله وحده، وليس لأحد من الخلق أن يسن تشريعاً يخالف ما جاء من عند الله فهو الرب سبحانه المشرع، بل يجب تعظيم كل ما جاء من عند الله سبحانه والعمل به، قال الله تعالى: «ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ حَرٌّ لِلَّهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُجِّلَتْ لَكُمْ الْأَنْفُسُ إِلَّا مَا بَشَلْ عَلَيْكُمْ فَأَجْتَنِبُوا الْإِثْمَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ» [الحج: ٣٠]، والآية وإن وردت في سياق الحج، إلا أن الظاهر عمومها لكل حرمة، وقد ذكر الشوكاني ذلك كما في فتح القدير ٤٥١/٣، وقال القاسمي في معنى الآية: «فحافظوا على حدوده، وإياكم أن تحرموا مما أحل لكم شيئاً، كتحریم عبدة الأوثان البهيرة والسائبة وغير ذلك، وأن تحلوا مما حرم الله، كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك». [محاسن التأويل ٤٣٣٨/١٢].

وقد أفادت الآية أن ترك الشرك واجتناب الأوثان من أعظم المحافظة على حدود الله تعالى، وهذا الذي يدفعنا دائماً - بتوفيق الله - إلى العناية بالتوحيد، وبيانه، والتحذير من الشرك وضلالاته.

●● ألا له الخلق والأمر؟

ومن المعلوم بداهة في دين الإسلام أن الله خلق الخلق ليعبدوه وحده دون سواه، وهذه العبادة مقتضى الانقياد لله تعالى في كل ما نزل من عنده اعتقاداً وقولاً

امتناعية العدد

إبراء للذمة

وإعذاراً إلى

الله تعالى

بقلم / الرئيس العام

د/ عبد الله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

على العبد ألا يتخذ

شريكاً لربه ومولاه

لأن هذا يتنافى مع

إفراد الله تعالى

بالربوبية والألوهية.

في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنما الطاعة في المعروف»، وقال: «على المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره، ما لم يؤمر بمعصية»، وقال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». [مجموع الفتاوى ٧٠/٧، ٧١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في موطن آخر: «ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله، لا بين المسلمين، ولا الكفار، ولا غير ذلك إلا بحكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن امتنعى غير لك تناوله قوله تعالى: «أَفَحُكْمَ الْمُجَلِّيَةِ يَتَوَقَّنَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُ يَوْمَهُ» [المائدة: ٥٠]، وقوله تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [النساء: ٦٥]، فيجب على المسلمين أن يحكموا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في كل ما شجر بينهم». [المرجع السابق ٤٠٧/٣٥، ٤٠٨].

● دحض شبهات وردت مفتريات:

لقد كانت الأمة الإسلامية على مدار تاريخها تطبق شريعة ربها، وتهتدي بالوحي المنزل، إلى أن غشيها الاستعمار وأعداء الدين، فغفروا وبدلوا، وفي القرن الماضي استيقظ العالم الإسلامي على

وعملاً، وأمرًا ونهيًا، وأن تكون حياة المرء قائمة على شريعة الله وحده، يحل ما أحل الله، ويحرم ما حرم، ويخضع في كل ما يأتي ويذر لشرع الله، ومن خالف ذلك، فقد خرج عن الطاعة والعبادة؛ وذلك لأن سن التشريعات حق لله تبارك وتعالى وحده، وقد عاب الله صنيع المشركين الذين وضعوا شرائع تخالف ما جاء من عند رب العالمين، وذمهم على ذلك في كتابه، فقال: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ» [الشورى: ٢١].

ويلاحظ أن الآية أطلقت على الذين يشرعون من الدين ما لم يأذن به الله شركاء، وعلى العبد ألا يتخذ شريكاً لربه ومولاه؛ لأن هذا يتنافى مع إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية وهو سبحانه مالك الملك، والأمر كله مرده إليه، وعلى العبد أن يرضخ لربه ومولاه، وأن يلزم شرعه وأمره.

● الحكم هو لله وحده:

ومما يدل من القرآن الكريم على أن الحكم لله وحده، وأنه يندرج تحت عبادة الله تبارك وتعالى ما جاء في قوله سبحانه: «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» [يوسف: ٤٠]، وقد بينت الآية أن الحكم هو لله وحده، وهو مقصور عليه، ولا ينازع فيه؛ لأن هذا من إفراده بالعبادة، ومنطوق الآية صريح في ذلك، وقد فهم ذلك علماء الإسلام وأئمتهم، فنصوا - رحمهم الله - على ضرورة الالتزام بأحكام الله وتشريعاته، وبينوا أنه لا يجوز الخروج عليها، ومن غير أو بدل عالماً بذلك، فليس من الإسلام في شيء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهؤلاء الذين اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً - حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مشركاً مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم



لقد كانت الأمة
الإسلامية على
مدار تاريخها تطبق
شريعة ربها وتقتلي
بالوحي المنزل إلى
أن شيعا الإسلام
وأمام الدين

مخالفة للدين ولنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الأمة، منها: جعل الشريعة الإسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا، وأن الدين لا يمنع من أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين، وأن نظام الحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان موضع غموض أو إبهام أو اضطراب أو نقص أو موجبا للحيرة، وأن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشريعة مجردا عن الحكم والتنفيذ، وإنكار إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام، وعلى أنه لا بد للأمة ممن يقوم بامرأها في الدين والدنيا، وإنكار أن القضاء وظيفة شرعية، وأن حكومة أبي بكر وعمر والخلفاء الراشدين من بعده رضي الله عنهم كانت لا دينية...

وقرر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ / محمد أبي الفضل شيخ الجامع الأزهر بناءً على ذلك اجتماع هيئة كبار العلماء بصفة تاديبية في يوم الأربعاء ١٥ من المحرم سنة ١٣٤٤هـ، الموافق ٥ أغسطس سنة ١٩٢٥م الساعة العاشرة صباحاً في دار الإدارة العامة للمعاهد الدينية، وأعلن ذلك للشيخ / علي عبد الرزاق في يوم الأربعاء ٨ من المحرم سنة ١٣٤٤هـ الموافق ٢٩ يوليو سنة ١٩٢٥م، وكلف بالحضور أمام الهيئة المذكورة في التاريخ والمكان المذكورين، وبعد الاطلاع على كتاب «الإسلام

دعوة خبيثة خرجت من الشيخ علي عبد الرزاق متابعا فيها أعداء الملة والدين، يقول فيها: «إن محمداً صلى الله عليه وسلم ما كان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين، لا تشوبها نزعة ملك، ولا دعوة لدولة، وأنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ملك ولا حكومة، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها، ما كان إلا رسولا كإخوانه الخالية من الرسل، وما كان ملكا، ولا مؤسس دولة، ولا داعيا إلى ملك». [انظر الإسلام وأصول الحكم ص ١٣٦]، وهذا كلام من لا يعقل شيئا عن هذا الدين ومصادره. وقد تبعه على ذلك نفر تربوا على موائد الفكر الغربي المناوئ لشريعة الإسلام ودين رب العالمين، وقد قام العلماء بواجبهم في الرد على هذا المؤلف وكتابه، ولم يستكتوا على الباطل الذي ذهب إليه.

وأنا أذكر هذا لأدفع العلماء والغيورين على دين الأمة إلى التصدي اليوم لمن يريد إقصاء الشريعة، أو يحاربها، وإن واجب البيان والدفاع عن الدين أمر ضروري لنا فيه سلف، وقد ردت هيئة كبار علماء الأزهر الشريف على هذه الفرية، بل تبرعوا من كتاب المؤلف علي عبد الرزاق «الإسلام وأصول الحكم»، وأخرجوه من زمرة العلماء، وهذا نص بيان هيئة كبار العلماء حول ذلك الكتاب: «الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على غلم الهدى ومرشد الورى سيدنا محمد الداعي إلى ما فيه سعادة الدنيا والفوز في الأخرى وسلم تسليما كثيرا، وبعد: فقد صدر بمصر كتاب عنوانه: «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ علي عبد الرزاق خرج فيه على الأصول التي سُمي بها عالما شرعيا، وكان بها أهلا للفتيا والقضاء، ولما تحقق ذلك لهيئة كبار علماء الأزهر الشريف اجتمعت بصفة تاديبية في دار الإدارة العامة للمعاهد الدينية يوم الأربعاء ٢٢ من المحرم سنة ١٣٤٤هـ برئاسة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر / محمد أبي الفضل شيخ الجامع الأزهر، وحضور أربعة وعشرين عالما من هيئة كبار العلماء، ونظرت في التهم الموجهة إلى الشيخ علي عبد الرزاق أحد علماء الجامع الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية التي تضمنها كتابه «أصول الحكم» من زمرة العلماء.

وقد تضمنت أن الكتاب المذكور يحوي أمورا



وأصول الحكم».

صدر هذا الحكم بدار الإدارة العامة للمعاهد الدينية في يوم الأربعاء ٢٢ من المحرم سنة ١٣٤٤ هـ الموافق ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ م.

أقول: رحم الله هؤلاء العلماء الربانيين، وأطالع علماء اليوم على سلوك هذا الطريق والانتصار لدين رب العالمين في جميع الأمور، وعلى رأسها: المسائل العقدية التي لا يقبل عمل عامل إلا إذا كانت صحيحة كما جاءت من عند الله تعالى، كما يجب الانتصار للسنة النبوية وسائر أمور الشريعة، وهذا واجب الأمة الآن، وقد جاء في حثييات حكم هيئة كبار العلماء بالأزهر ما يلي: الدين الإسلامي بإجماع المسلمين ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عقائد وعبادات ومعاملات لإصلاح أمور الدنيا والآخرة، وإن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كلاهما مشتمل على أحكام كثيرة في أمور كثيرة في أمور الدنيا، وأحكام كثيرة في أمور الآخرة.

وهل في استطاعة الشيخ / علي أن يشطر الدين الإسلامي شطرين، ويلغي منه شطر الأحكام المتعلقة بأمور الدنيا، ويضرب بأيات الكتاب العزيز وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهل يجترئ الشيخ / علي أن يسلخ الأحكام المتعلقة بأمور الدنيا من الدين، ويترك الناس لأهوائهم ويقول: إن ذلك من الأغراض الدنيوية التي أنكر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون له فيها تدبير؟!

وماذا يعمل الشيخ / علي ومن على شاكلته من المخالفين للشرع المطهر في قول الله تعالى الموجه إلى إمام هذه الأمة وصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَّكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا» [النساء: ١٠٥]؟! وقد نزل الكتاب بالحق ومن عند الحق، واشتمل على أصول الدين وما يصلح للدنيا والدين، ولا يوجد خير من الوحي المنزل للكتاب والسنة.

وختاماً أقول: يا رب رضىنا بك رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، ربنا آمناً بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.

وللحديث صلة - إن أحياني رب العالمين -
والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين،
والحمد لله رب العالمين.

أطالبي العلماء

والشريعة على دين

الله بالتصلي اليوم

لن يترك إقصاء

الشريعة أو يحاربها

وأصول الحكم» السابق الذكر، والعلم بما تضمنه من الأمور المخالفة للدين ولنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الأمة، وسماع ما جاء في مذكرة الشيخ / علي عبد الرازق عن التهم الموجهة إليه.

وبعد الاطلاع على المادة الأولى بعد المائة من قانون الجامع الأزهر رقم ١٠ لسنة ١٩١١م، وعلى المادة الرابعة من القانون، وبعد مداولة القانونية وبعد مناقشة هيئة كبار العلماء لما جاء في الكتاب المذكور رأيت هيئة كبار العلماء ما يلي: من حيث إنه تبين مما تقدم أن التهم الموجهة إلى الشيخ / عبد الرزاق ثابتة عامة، وهي مما لا يناسب وصف العالمية، وفقاً للمادة (١٠١) من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١م ونصها: «إذا وقع من أحد العلماء -أيًا كانت وظيفته أو مهنته- ما لا يناسب وصف العالمية، يحكم عليه من شيخ الأزهر بإجماع تسعة عشر عالماً معه من هيئة كبار العلماء ولا يقبل الطعن في هذا الحكم، ويترتب على الحكم المذكور: محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى، وطرده من وظيفته وقطع مرتباته في أي جهة كانت، وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية دينية أو غير دينية، فبناءً على هذه الأسباب: حكمنا نحن شيخ الأزهر بإجماع أربعة وعشرين عالماً معنا من هيئة كبار العلماء بإخراج الشيخ / علي عبد الرازق أحد علماء الجامع الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية ومؤلف كتاب الإسلام

في ندوة التوحيد الثانية بالشين

دعوتنا: توحيد

رئيس التحرير: جمال سعد حاتم / أدار الندوة وكتبها:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول

الله وبعد:

فقد أقيمت ندوة التوحيد الثانية بمجمع

نور التوحيد بقرية الشين بمحافظة الغربية.

وشملت محاور ثلاثة: دعوتنا توحيد

واتباع وتزكية، ومع علم من دعاة التوحيد

هو فضيلة الشيخ الدكتور عبد العظيم بدوي،

الذي حرص على إقامة هذه الندوة التي أتت

بثمار عظيمة سبى القارئ آثارها وثمارها.

دعوتنا تقوم على التوحيد أولاً

يقول الدكتور عبد العظيم بن بدوي

حفظه الله:

إن دعوتنا توحيد واتباع وتزكية، هذه

هي دعوتنا التي شرفنا الله تبارك وتعالى

بالعمل فيها والدعوة إليها.

التوحيد وفاء بعهد الله، والتوحيد

اتباعاً لرسول الله، والتوحيد سعياً للتمكين

في الأرض، والتوحيد طمعاً في تحقيق الأمن

والأمان، والتوحيد رجاء تكفير السيئات،

والتوحيد طمعاً في دخول الجنات، لماذا

دعوتنا تقوم على التوحيد أولاً؟

التوحيد أولاً وفاء بعهد الله قال الله

تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ

ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى

شَهِدْنَا» [الأعراف: ١٧٢].

فالله تبارك وتعالى أخذ العهد والميثاق

على بني آدم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً،

ونزل آدم عليه السلام إلى الأرض، وكان

نبياً معلماً فعلم أبناءه التوحيد، ودعاهم

إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فكانوا

موحدين عشرة قرون يعبدون الله مخلصين

له الدين وبعد ألف سنة اجتالت الشياطين

أكثر الناس، فأخرجتهم من نور التوحيد إلى

ظلمات الشرك، فحقت عليهم كلمة العذاب،

ولما كان الله سبحانه وتعالى يحب العذر، ولا

يعجل العقوبة لمستحقها حتى يقيم عليهم

الحجة كما قال سبحانه: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى

يَبْعَثَ رَسُولًا» [الإسراء: ١٥].

وكما قال عز وجل: «رُسُلًا مُبَشِّرِينَ

وَمُنْذِرِينَ لئَلَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ»

[النساء: ١٦٥]، فقد بعث الله تبارك وتعالى

الرسول إليه داعين، وبعدهم مذكّرين، ولأهل

التوحيد مبشرين، ولأهل الشرك منذرين قال

الله تعالى: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ

مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ» [البقرة: ٢١٣]، كان الناس

أمة واحدة على التوحيد، على الهدى، على

إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة، على القيام

بحق الله عز وجل وفاء بعهد الله، كان الناس

أمة واحدة عشرة قرون من بين آدم إلى نوح

عليه السلام، فاختلّفوا؛ فمنهم من آمن ومنهم

من كفر، فبعث الله النبيين مبشرين لمن ثبت

على التوحيد ومنذرين لمن خرج من التوحيد

إلى الشرك قال الله تبارك وتعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا

نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ» [نوح: ١]، وكان نوح عليه السلام أول

رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض، فلبث

في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم

إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك ما

يعبدون من دونه من الأصنام والأوثان، ولم

يأل جهداً في هذه الدعوة وفي إنقاذ الناس

من الشرك وإدخالهم في التوحيد، دعاهم ليلاً

ونهاراً، سرا وجهراً، غشاهم في مجالسهم

وأنديتهم وأسواقهم وطرقاتهم وبيوتهم ومع

كل هذا «وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ» [هود: ٤٠].

أرسل الله الرسل لنشر التوحيد

ويستطرد الدكتور عبد العظيم قائلاً:

د.. واتباع.. وتركية

بالسحر والكذب، واتهموه بالجنون «وَجَبَّوْا أَنْ
جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿١﴾
أَعْمَلُ الْآلِهَةِ إِنَّمَا وَجِدْنَا أَنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٢﴾ وَأَسْطَقَ
الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا وَاسْبِرُوا عَلَى الْهَيْكَلِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
بُرْءٌ ﴿٣﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْآلِهَةِ الْأَخِيرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا
أَخْيَالٌ ﴿٤﴾ (ص: ٤-٧).

وظل عليه الصلاة والسلام يجاهد فيهم
ويدعوهم إلى التوحيد، ولما كانوا كما وصف
الله تعالى «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم
مشركون»، قال ابن عباس: من إيمانهم أن
يقولوا: الله خالقنا، الله رازقنا، الله مدبر
أمرنا، الله الذي يحيينا، الله الذي يُميتنا،
ومن شرهم أنهم إذا قيل لهم «لا إله إلا الله
يستكبرون»، فكان كفار قريش مؤمنين بتوحيد
الربوبية مشركين في الألوهية «ولئن سألتهم
من خلقهم ليقولن الله»، «ولئن سألتهم من
خلق السموات والأرض ليقولن خلقهم العزيز
العليم»، «ولئن سألتهم من خلق السموات
والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله»

فألزمهم الله سبحانه وتعالى بتوحيد
الألوهية؛ لكونهم مقرين بالربوبية، فتوحيد
الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ما دمت
تعتقد أن الله هو الذي خلق فسواك فعدلك،
ما دمت تعتقد أن الله هو الذي يرزقك، ما دمت
تعتقد أن الله إذا دعوته أجابك، وإذا سألته
أعطاك، وإذا مرضت شفاك، يجب أن تعبد
وحده لا شريك له، كثر في القرآن الكريم إلزام
المشركين بتوحيد الألوهية بتوحيد الربوبية
الذي هم به مقرون، يقول تعالى: «الله الذي
خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من
شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه
وتعالى عما يشركون»، «قل من يرزقكم من
السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار
ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من

أما الملاء من قومه فقد أصروا على الشرك
إصراراً، واستكبروا عن التوحيد استكباراً،
وعقدوا مؤتمرات وخرجوا منها بتوصيات
«وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ
وَيَعُوقَ وَتَارَةً» [نوح: ٢٣]، «فَدَعَا رَبُّهُ إِلَى مَغْلُوبٍ
فَانصَبَ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا مُمْسِكُنِي ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا
الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فَرَّزَ ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَاهُ عَلَى
ذَاتِ الْوُجْهِ دُسْرًا ﴿١٣﴾ تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا»
[القمر: ١٠-١٤]، واستقرت السفينة بنوح
عليه السلام على الجودي، فلم يكن على وجه
الأرض بعد إغراق المشركين إلا الموحدون،
وطال الأمد بالناس وعمل الشيطان عمله
فيهم فاجتالهم مرة ثانية، وأخرج أكثرهم من
نور التوحيد إلى ظلمات الشرك، فبعث الله
تعالى هوداً عليه السلام: «فَقَالَ يَقُورُ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» [الأعراف: ٥٩]، وكانت
النتيجة هي هي، نجى الله هوداً ومن آمن
معه وأهلك قوم عاد، ثم جاء قوم ثمود وأرسل
الله إليهم صالحاً «يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من إله غيره»، «ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا» [المؤمنون:
٤٤] يحق الله الحق ويبطل الباطل، وينجي
أهل التوحيد، ويهلك أهل الشرك.

وما زالت الرسل تترى على هذا النظام
وعلى هذا الهدى حتى انتهى الأمر إلى محمد
صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين عليهم
جميعاً صلوات رب العالمين، فجاء عليه الصلاة
والسلام وقد انتشرت الأصنام والأوثان في
قومه حتى كانت بعدد أيام السنة، وكان
لكل أهل بيت صنم في بيتهم يعبدونه من
دون الله، فصار على هدى إخوانه المرسلين
التوحيد أولاً؛ لأن الله قصّ عليه قصصهم،
ونباه نبأهم، وأمره أن يهتدي بهديهم «أُولَئِكَ
الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمَنْ هَدَاهُمْ أَفْئِدَةً» [الأنعام: ٩٠]،
فقام عليه الصلاة والسلام يقول للناس:
قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ولكن القوم رموه

وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا» شريطة «يعبدونني لا يشركون بي شيئاً»، فالتوحيد هو طريق التمكين وهو طريق تحقيق الأمن والأمان في الدنيا والآخرة، قال تعالى: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون».

والتوحيد طمعاً في دخول جنة الله رب العالمين سبحانه وتعالى، «فمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»، و«من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» «عاجلاً إن لقي الله تائباً وإن لقي الله مصرّاً وشاء الله أن يغفر له أدخله الجنة عاجلاً، وإن أخذه بذنوبه أدخله النار ليظهره ثم يخرج به من النار برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ولا يخلد في النار أبداً إلا من لم يقل لا إله إلا الله، لذلك كانت دعوتنا قائمة على التوحيد أولاً، نسأل الله العظيم رب العرش العظيم كما أحسن البداية أن يحسن النهاية، وأن يجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله، والحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين».

المحور الثاني: أهمية الاتباع وأثره في الدعوة

ثم تحدث الدكتور أيمن خليل حفظة الله ، مدير إدارة الدعوة بالمركز العام لأنصار السنة المحمدية قائلاً:

إن التوحيد إقرار لله عز وجل بالعبودية، وشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة، فمن شهد لله بالوحدانية ولم يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة هل يكون موحداً لربه سبحانه؟ لا يتحقق ذلك أبداً إلا بأن يقر أن النبي صلى الله عليه وسلم هو رسول الله مرسل من عند الله سبحانه، وطالما أنه مرسل من عند الله سبحانه فقد أرسل لبيّن لنا شرعاً قويمًا، وأرسل بوحي من الله سبحانه، وهذا الوحي إما أن يكون قرآنًا وإما أن يكون سنة، وقد أمرنا باتباع

الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلّم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأني تصرفون كذلك حقّت كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون» «قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل لله يبدأ الخلق ثم يعيده فأني تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون»، فكثّر في القرآن الكريم إلزام المشركين بتوحيد الألوهية الذي هم له منكرون، وفيه مشركون بتوحيد الربوبية الذي هم فيه مؤمنون بالله سبحانه وتعالى.

لماذا كان الله هو المعبود بحق؟

لأنه هو الذي خلقنا ورزقنا، وسوانا، وأعطانا، ويحبب دعائنا، ويشفي مريضنا، وينصرنا «يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا» في العبادة «وأنتم تعلمون» أنه لا ند له في الخلق «أفمن يخلق كمن لا يخلق» كيف تسوون المخلوق بالخالق؟ «الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» أي يسوون المخلوقين بربهم في العبادة، هم لم يسووهوهم بالله في الخلق والتدبير إنما سووهم به في العبادة، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم سيندمون يوم القيامة على هذه التسوية «فكذبوا فيها» أي في النار.

التوحيد هو الطريق لإقامة الدولة المسلمة

يقول الشيخ: وإذا أردنا إقامة الدولة المسلمة، فعلياً أن نعلم أن الطريق هو التوحيد، هو أفراد الله تعالى بالعبادة، هو أن نعبد الله مخلصين له الدين، كما قال عز وجل «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً»، والتوحيد طلباً للأمن والأمان، طلباً للتمكين في الأرض،

إذاً أول مشكلة قابلت الصحابة وأول أمر اختلفوا فيه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم هو أين يدفن وبالاتباع وببركة الاتباع انتهى الخلاف.

مسألة الخلافة كادت تعصف بالأمة

المسألة الثانية: مسألة الخلافة وهي من أخطر المسائل التي كادت أن تعصف بالأمة، وهل أريقت الدماء إلا بسبب الخلافة والحكم؟ وهل وقع القتال بين المسلمين إلا بهذا السبب؟ وهل يقع ما يقع من إحن ومن محن في ديار المسلمين إلا بسبب هذه المسألة بتوابعها، وهي مسألة تحتاج إلى بحث في العلاقة بين الحاكم والمحكوم، هل يجوز الخروج على الحاكم أم لا؟ وهل حكامنا في هذه الأيام خارجون من ملة الإسلام؟ لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله؟ أم أنهم تثبت لهم أحكام الإيمان؟ هذه من الأمور الدقيقة التي ينبغي أن تبحث وأن تبحث بصدق وبوضوح وأن تبحث بمرجعية دينية، لا ينبغي أن تكتم هذه الأمور، وإلا فما وقع التشردم بين المسلمين إلا بسبب هذه المسألة وما وقع الاختلاف والتناحر إلا بسبب هذه المسألة، وإذا بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار وقد بايعوا سعد بن عبادة رضي الله عنه، بايعوه على الخلافة، وإذا بأبي بكر وعمر رضي الله عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جميعاً وقد ذهبوا إلى سقيفة بني ساعدة، النبي صلى الله عليه وسلم مات يوم الاثنين، وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وذهبوا للنظر في مسألة الخلافة.

وقد يتعجب بعض الناس، لك أن تتخيل أن الأنصار الذين أووا ونصروا، الذين بذلوا كل شيء لدين الله ولم يأخذوا شيئاً، الذين أقام الله عز وجل بهم دولة التوحيد التي تمايزت عن دول الشرك في ذاك الزمان وقد بايعوا سعد بن عبادة رضي الله عنه، حينما يأبى المهاجرون أن يبايعوه ألم تقع فرقة؟ ألن يحدث تناحر بين الفريقين؟ ألا يؤدي ذلك إلى ما لا تحمد عقباه؟ قال عمر رضي الله عنه : كنت قد زورت مقالة، أي هيا مقالة في نفسه

من السنة، كما أمرنا باتباعه فيما بلغ من القرآن.

وكثير منا حينما لا ينتبه إلى هذا المصدر يحدث عنده الخلل، مصدرنا في التلقي ليس فعل فلان، مهما عظم قدره وعلا، ومصدرنا في التلقي قال الله، قال رسوله، لذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما: توشتك أن تقع عليكم حجارة من السماء؛ أقول لكم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون: قال أبو بكر وقال عمر!!

ومن رحمة الله عز وجل بنا أن الحق لا يُعرف بأحد، الحق لا يُعرف بالرجال، وإنما تُعرف الرجال بانقيادها وانصياعها للحق، فالعصمة ليست للأفراد والعصمة ليست للرجال، وإنما من عصم هو من اتبع ولذا فإن الصحابة كانوا أشد الناس اتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم يقول الدكتور أيمن خليل: إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عقب موته كانوا ما بين مصدق ومكذب لموته هل يمكن أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات؟ حتى جاء النص وذكرهم أبو بكر بالآية «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» يقول عمر رضي الله عنه: فكانما أسمع هذه الآية لأول مرة، وإذا بالصحابة رضي الله عنهم وقد اختلفوا كما في موطن الإمام مالك من بلاغاته، وفي مسند الإمام أحمد وفي سنن ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اختلفوا أين يدفن؟ فمن قائل: ادفنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المنبر، ومن قائل: بل يدفن في مقابر المسلمين بالقيع، فإذا بأبي بكر رضي الله عنه وأرضاه يستند إلى النص الشرعي لحسم الخلاف فيكون الاتباع، قال: (ما قبض نبي إلا حيث وجب أن يُقبر أو يدفن) أو كما قال، وقال: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نسيته، فإذا بالصحابة لما علموا النص امتثلوا واتبعوا.

تخرج من دائرة الإسلام، وإنما تأولت مخطئة مخالفة الإجماع وقبله سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم تأولوا قوله تعالى: «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم» تأولوا أن ذلك خاص للنبي صلى الله عليه وسلم وأخطأوا في ذلك بمخالفتهم للسنة وبمخالفتهم لإجماع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فما قاتلهم لكفرهم، وإلا لما وقع إشكال عند عمر وعند غيره، إذن النص حسم المسألة في كل نازلة في كل واقعة اختلف الصحابة فيها حيث قد رجعوا إلى النص الشرعي، فعصموا من الاختلاف وعصمهم المولى سبحانه من الفتنة بذلك، إذن الاتباع هذا تسليم بتوحيده لله عز وجل، وتسليمك برسالة النبي صلى الله عليه وسلم بأنك متبع له.

حقيقة التزكية وآثارها

ثم كان المحور الثالث وقد تحدث فيه الدكتور: أحمد النقيب حفظه الله الأستاذ بكلية التربية جامعة المنصورة، في كلمته عن التزكية في الندوة التي عنوانها: «دعوتنا لتوحيد واتباع وتزكية».

الحقيقة أن الفصل بين هذه الثلاثة يكاد أن يكون صعباً، فكل من حقق التوحيد يلزمه أن يكون متبعاً وكل موحد متبع يلزمه أن يكون على جادة طريق التزكية، والتزكية قرينة التعليم «لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة»، فتأمل كيف أن الطريق بدأ بتلاوة الكتاب ثم ثني بالتزكية ثم كانت الثالثة: التعليم؛ لأن التلاوة لا يقصد بها القص والحكاية ولكن التلاوة هنا تتضمن معنى الإعلام الذي فيه دلالة الإخبار كما تتضمن أيضاً: معنى الاتباع، فتأمل الفارق بين قول ربنا سبحانه وتعالى: «واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً» فالتلاوة هنا ليس معناها كقول الله تبارك وتعالى: «واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك» فالتلاوة هنا فيها معنى: الاتباع والانقياد والامتثال، والأولى فيها

يتحدث بها، فوالله تكلم أبو بكر بسجيته - بعفوية - فوالله ما ترك شيئاً مما أعددت له إلا قاله وزاد عليه وأحسن، وإذا بالخلاف وقد انتهى وإذا بالنزاع وقد ولى، بم؟ بالاتباع، بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأئمة من قريش» انتهى النزاع، وانتهت بيعة سعد بن عباد، ولم يتكلم الأنصار كلمة واحدة سمعا وطاعة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن الأمراء وأنتم الوزراء...».

إذن مسألة الخلافة مع خطورتها الشديدة حُسمت بالاتباع، بالنص الشرعي، بالامتثال للنص الشرعي ووقى الله الأمة شر الفرقة واجتمعت بفضل الله سبحانه.

فاطمة رضي الله عنها وميراث النبي صلى الله عليه وسلم

مثل آخر نضربه أيضاً في ذلك الزمن الفاضل، وهي مسألة: ميراث النبي صلى الله عليه وسلم، فاطمة رضي الله عنها وأرضاها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلب ميراثها في أبيها، في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن له من الولد سواها، إذن لها نصف التركة، والباقي سينتقل تعصيباً إلى عمه العباس، ها هنا أبو بكر رضي الله عنه يرفض، لماذا؟ امثالاً للشرع، تمسكاً بالوحي واتباعاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والذي بين أن الأنبياء لا تورث، وقال صلى الله عليه وسلم: «ما تركناه صدقة» تغضب فاطمة رضي الله عنها، وماتت بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر، ويأتي بعد ذلك العباس ويأتي علي رضي الله عنهما الذي يطالب بآرث زوجته رضي الله عنها، فإذا بالنص الشرعي فتنتهي المسألة، فالاتباع انتهى به الخلاف.

يقول الدكتور أيمن خليل: إذن الإشكال الذي في ذهن الصحابة ليس أنهم كفروا، هذا لم يقل به أبو بكر، ولذلك أيها المسلم الكريم فرق بين قتالين وقعا في زمن أبي بكر بين قتال المرتدين، وهذا قتال لكفار أصليين، وبين قتال مانعي الزكاة، قتال مانعي الزكاة كان لفئة لم

معنى: التوقيف والمعرفة والإخبار والقص والحكاية، فكان وظيفة الأنبياء ومنهم النبي عليه الصلاة والسلام أنهم يعلمون الناس ويخبرونهم بما يصلحهم، ويقربهم إلى الله عز وجل من أمور التوحيد، ومن أمور التزكية والإنسان يزكى بالتوحيد كما يزكى بالاتباع، التزكية: تزكية بالتوحيد وتزكية بالاتباع.

التزكية مرتبطة بسلامة المصدر

والإمام والتفذية والنتيجة

إن الدين كله مبني على التزكية إن في أمور الاعتقاد أو في أمور الاتباع، والدين كله مبني على هذين الأصلين: التوحيد والاتباع، أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وقد أصّل النبي صلى الله عليه وسلم في مكة هذين الأصلين العظيمين: لا إله إلا الله محمد رسول الله تأصيلاً عظيماً في نفوس الصحابة.

مصدر التلقي هو الوحي

فسلامة المصدر الكتاب والسنة وتحقيق هذه السلامة وجمع الناس على هذه المصادر النقية، هذه درجة مهمة جداً لإرساء منهج التزكية، سلامة المصدر، أنت تتبع من؟ تسير على طريق من؟ تعظم من؟ وإياك أن ترهف بأي إنسان كائناً من كان، قال الإمام أحمد - عليه رحمة الله -: عجب لمن عرف الإسناد وصحته - يعجب الإمام أحمد لمن عرف الإسناد وصحته أي يعرف صحة الدليل - ثم يقول بقول سفيان، سفيان هذا سفيان ابن عيينة شيخ الإسلام في الحديث في عصره، ألم نسمع قول الله عز وجل: «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، سلامة المصدر مهمة جداً.

إمامنا رسولنا قدوتنا

الإمام، الإمام القدوة، قال ربنا عز وجل في إبراهيم: «إن إبراهيم كان أمة» قال بعض أهل العلم: كان إماماً يقتدى به في خصال الخير، ومنهج التزكية إمامه: رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذن عندنا إمامنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن أراد

منهج التزكية فليُنظر سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية، فليُنظر إلى الصفات الخلقية التي كان يتحلّى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صفات العادة وهدي العادة، كيف كان يأكل؟ كيف كان يبيت؟ كيف كان يلبس؟ هذه كلها من خلاله صلى الله عليه وسلم من هديه صلى الله عليه وسلم، فمن أراد التزكية فعليه بالإمام المعصوم صلى الله عليه وسلم، كل يؤخذ منه ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم.. وهذا قول الإمام مالك، وأشار إلى قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: منهج الصحابة في التزكية، قال الإمام الشافعي وكذلك غير واحد من الأئمة: إذا صح الحديث فهو مذهبي، صحة الحديث لماذا؟ لأن النبي قاله، فلا بد أن يُعظم هذا القول، وأن يعظم هذا الفعل، إذن لا بد أن يكون لك إمام، من إمامك؟ إياك أن تقول: أنا في مدرسة الشيخ فلان، أنا مع الشيخ فلان، أنا لا أخذ أوامري إلا من الشيخ الفلاني، توجيهاتي من الشيخ الفلاني، نحن لدينا منهج الصحابة هو المحور الثالث في التزكية.

منهج الصحابة فهم الذين نفذوا وطبقوا؛ لأنهم الذين تلقوا هذا المصدر والذين صحبوا هذا الإمام والذين جعلهم الله عز وجل سبباً لتمكين هذا الدين، فكان جهدهم وجهادهم بعد قبض نبيهم دليلاً على تمكنهم من هذا الأمر، الفتوحات الكبيرة لم تكن في زمن النبي عليه الصلاة والسلام، فتح بلاد فارس وبلاد الروم وبلاد القبط، وبلاد اليمن وعمان وشمال إفريقيا وبلاد الترك والديلم وتركمان، كل ذلك وكثير منه كان في عهد الصحابة، النماذج التي طبقت دين الله عز وجل فإذا أردت أن تعرف منهج التزكية فعليك بمنهج الصحابة.

شكر الله لكم جميعاً، وجمعنا وإياكم في رحاب التوحيد، وتوفانا وإياكم على التوحيد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تفسير سورة الزمر

الحلقة الرابعة

قال الله تعالى: « وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٨) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩) لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقُوا رَبَّهُمْ هُمْ عُرِفُوا مِنْ فَوْقَهَا عُرِفُوا مَبِينَةً تُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠) أَلَمْ يَرَأَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنبُوعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ (٢١) أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْفَاسِقِينَ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢) » [الزمر ١٧-٢٢]

إعداد / د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على

من لا نبي بعده..

« وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا »

أي جعلوها في جنب وهم في جنب، فلم يقتربوا منها، فضلا أن يعبدوها، « وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ » بالتوحيد، وإخلاص الدين له، وإسلام الوجه إليه، فلا بد لمن أراد النجاة من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، كما صرح بذلك ربنا سبحانه في قوله: « فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » [البقرة: ٢٥٦]، ولذلك كانت كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، فالجزء الأول من هذه الكلمة هو الكفر بالطاغوت، والجزء الثاني هو الإيمان بالله، وأهل لا إله إلا الله « لَهُمُ الْبُشْرَىٰ » في الحياة الدنيا وفي الآخرة، كما قال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا

رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ » [الشورى: ٣٠-٣٢]، والله تعالى يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يبشرهم بهذه البشارة فيقول: « فَبَشِّرْ عِبَادَ »، والبشرى هنا مبهمه، فسرت في قوله تعالى: « وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » [البقرة: ٢٥].

اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ؛

ثم يصف الله تعالى أهل البشري فيقول: «الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» يحتمل أن يكون «القول» عامًّا، يشمل كل قول يسمعه الإنسان، فعلى كل من سمع قولاً أن يتبع أحسنه، كما قالوا في أدب طالب العلم: ينبغي أن يكتب أحسن ما يسمع، وأن يحفظ أحسن ما يكتب، وأن يعمل بأحسن ما يحفظ.

ويحتمل أن يكون «القول» خاصًّا وهو القرآن؛ لأن الله تعالى سمى القرآن قولاً فقال: «أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَا يَأْتِي آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ» [المؤمنون: ٦٨]، وهنا يأتي سؤال: هل في القرآن حسن وأحسن؟

والجواب: نعم، قال الله تعالى: «وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بُعْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» [الزمر: ٥٥]، وقال لموسى عليه السلام حين أعطاه الألواح: «فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا» [الأعراف: ١٤٥]. فمن الحسن العدل، والعفو أحسن، قال تعالى: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ لَكُمْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّهِ إِلَيْهِ بِأَحْسَنِ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعَدَّ لِلْإِنْسَانِ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [البقرة: ١٧٨]،

فشرع الله تعالى القصاص فهو حسن، ثم ندب إلى العفو وهو أحسن، كما قال تعالى: «وَأِنْ طَلَقْتُمْوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» [البقرة: ٢٣٧]، فجعل للمطلقة قبل الدخول نصف المهر، فإن أخذته كان حسناً، ثم ندب إلى العفو وهو أحسن، ولذلك قال: «وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى» وقال تعالى: «وَحَرِّزُوا سَبِيحَتَكُمْ مِنْهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» [الشورى: ٤٠] فأباح الجزاء بالمثل، وهو حسن، وورغ في العفو، وهو أحسن. وقال تعالى: «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا

هِيَ وَلَئِنْ تَحْفُوهَا وَتُؤْثَرَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» [البقرة: ٢٧١]، فإظهار الصدقة حسن، وإخفاؤها أحسن. وهكذا.

فمن اتبع أحسن القول كان من المهتدين، أصحاب العقول السليمة، كما قال تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ».

إن الهدى هدى الله:

ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «أَقِمْنَ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةَ الْعَذَابِ أَفَأَنْتِ تَنْقُذُ مَنْ فِي النَّارِ»: يريد الله أن يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: «وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ» [يوسف: ١٠٣]، «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتِ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» [يونس: ٩٩]، ومعنى الآية: أن من حقت عليه كلمة العذاب، وهي: «لَأَمَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسِ أَجْمَعِينَ» [السجدة: ١٣]، لا يستطيع أحد أن يهديه فينقذه من النار؛ لأن الهدى هدى الله، «مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُهْدِهِ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [الأنعام: ٣٩]، «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» [الأنعام: ١٢٥]، ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لما حزن على موت عمه أبي طالب على الشرك: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» [القصص: ٥٦]، وكل ذلك تسلية من الله لرسوله حتى لا يحزنه كفر الكافرين، لأنه صلى الله عليه وسلم كان حريصاً كل الحرص على هداية الناس، ودخولهم في دين الله، فنهاه الله عن ذلك فقال: «يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ» [المائدة: ٢٣].

وقال تعالى: «وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ: إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُعَذِّبُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» [لقمان: ٢٣].

جزاء المتقين:

ولما بين الله تعالى جزاء الظالمين الذين عبدوا غيره، اتبعه ببيان جزاء المتقين الذين اتقوه، واتقوا الشرك، واجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها، فقال تعالى: «لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ» فهم في أعلى عليين، في جنات النعيم.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِيَفَاضِلَ مَا بَيْنَهُمْ». قالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رَجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» [متفق عليه].

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تَرَى ظُهُورَهَا مِنْ بَطُونِهَا، وَبَطُونَهَا مِنْ ظُهُورِهَا. فَقَامَ أَغْرَابِي فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» [صحيح سنن الترمذي ١٩٨٤].

«تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ»: «أَنْهَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ مَاسٍ وَأَنْهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَرٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى» [محمد: ١٥].

هذا ما وعد الله عباده المتقين، «وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلُفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ»، وقد اعترف أهل الجنة بأن الله صدقهم وعده، قال تعالى: «وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ بِتِلْكَ الْآيَاتِ ۚ عَلَيْكُمْ آيَاتُ رَبِّكُمْ وَنُذِرُوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِلْمُكَفِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۚ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا بِهِ الْجَنَّةَ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» [الزمر: ٧٣-٧٤].

حقيقة الدنيا:

ولما كانت الدنيا سبب إغراض كثير من الناس عن الله والدار الآخرة، فإن الله تعالى قد ضرب لها المثل في سرعة الزوال والفناء، فقال تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ»:

والمعنى: إنما مثل الحياة الدنيا كمثل ماء أنزله الله من السماء، فسقى به البذور المختلفة في الأرض، فنبتت هذه البذور على اختلاف أنواعها وألوانها، فسُرَّ الزراع بها وفرحوا، ثم لم تلبث هذه النباتات ذات الألوان الجميلة أن اصفرت وذبلت، وذهبت نضرتها وبهجتها، ثم حصد الزراع الزرع، فخلت الأرض من النباتات التي كانت تزدان بها، وكأنها لم تكن مزروعة. وهكذا الدنيا، حلوة خضرة، تسر الناظرين، وتلهي الغافلين، ثم ينفخ في الصور فتذك الأرض دكا، «فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿٧١﴾ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا» [طه: ١٠٦-١٠٧]، ويومئذ يتحسر أهلها «الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا» [الأعراف: ٥١]، كما قال تعالى: «قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِقَوْلِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَكْذِبُونَ عَلٰى مَا كُفَرْتُمْ فِيهَا وَهُمْ يُجْمَلُونَ أَوَآرَاهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَرِثُونَ» [الأنعام: ٣١].

وقد تكرر ذكر هذا المثل في القرآن الكريم في مواضع:

قال تعالى: «إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِ بُدِّرُوا عَلَيْهِمْ أَتَيْنَاهَا أَثْمَارًا لَيَالًا أَوْ هَارًا فَفَجَعَلْنَاهَا حُطَامًا ۚ كَانَ لِمَنْ تَنَبَّ بِالْآمِسِ كَذٰلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْكُرُونَ» [يونس: ٢٤].

وقال تعالى: «وَأَضْرَبَ لِمَنْ مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا» [الكهف: ٤٥].

الفرق بين المؤمن والكافر:

ثم فرّق الله تعالى بين الفريقين فقال: «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»:

الجملة الأولى من هذه الآية جملة شرطية، جوابها محذوف، دلت عليه الجملة الثانية، والمعنى: «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ» كمن قست قلوبهم! أو «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ» كمن جعل الله صدره ضيقاً حرجاً! لا يستوتون. كما قال تعالى:

«أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَتَّئِلًا فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ نُزِيلُ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»

[الأنعام: ١٢٢]. وقال تعالى: «أَفَمَنْ كَانَتْ لَهُ نُورٌ وَغُلَّتْ عَلَيْهِ أَصْفَادٌ كَمَنْ كَانَتْ لَهُ ظُلُمَةٌ وُجِّدَتْ عَلَيْهِ أَصْفَادٌ كَذَلِكَ نُزِيلُ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأنعام: ١٢٢]. وقال تعالى: «أَفَمَنْ كَانَتْ لَهُ نُورٌ وَغُلَّتْ عَلَيْهِ أَصْفَادٌ كَمَنْ كَانَتْ لَهُ ظُلُمَةٌ وُجِّدَتْ عَلَيْهِ أَصْفَادٌ كَذَلِكَ نُزِيلُ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأنعام: ١٢٢]. وقال تعالى: «أَفَمَنْ كَانَتْ لَهُ نُورٌ وَغُلَّتْ عَلَيْهِ أَصْفَادٌ كَمَنْ كَانَتْ لَهُ ظُلُمَةٌ وُجِّدَتْ عَلَيْهِ أَصْفَادٌ كَذَلِكَ نُزِيلُ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأنعام: ١٢٢].

فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ: وهم الذين لم يشرح الله صدورهم للإسلام، لانطماس بصيرتهم وموت قلوبهم، كما

قال تعالى: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ ۖ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ» [الأنفال: ٢٢-٢٣]. وقال تعالى: «وَلَقَدْ دَرَأْنَا لَجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْإِنْسِ وَالْإِنْسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَافِقُونَ» [الأعراف: ١٧٩]. وقال

هنا: «أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» أي ظاهر واضح؛ لأنهم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، واشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة، فبئس ما يشترتون.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

وقال تعالى: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمِثْلِ هَبْطِ السَّحَابِ مُمْسِكًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ مُبِينٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ» [الحديد: ٢٠].

ومع ضرب المثال حذّر الله تعالى من الدنيا والافتتار بها، فقال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْفَرُودُ» [فاطر: ٥]. وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَلِأَنفُسِكُمْ يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلًى هُوَ جَارٌ مِنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّكُمْ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْفَرُودُ» [لقمان: ٣٣].

وقوله تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ» يعني أن من شاهد هذه الأحوال في النبات علم أن أحوال الحيوان والإنسان كذلك، وأنه وإن طال عمره فلا بُدَّ له من الانتهاء إلى أن يصير مصفر اللون، منحطم الأعضاء والأجزاء، ثم تكون عاقبته الموت. فإذا كانت مشاهدة هذه الأحوال في النبات تُذكرُهُ حصول مثل هذه الأحوال في نفسه وفي حياته، فحينئذ تعظم نفرتة من الدنيا وطيباتها.

والحاصل أن الله تعالى في الآيات المتقدمة ذكر ما يُقوّي الرغبة في الآخرة، وذكر في هذه الآية ما يُقوّي النفرة من الدنيا، فشرّح صفات القيامة يُقوّي الرغبة في طاعته، وشرّح صفات الدنيا يُقوّي النفرة من الدنيا. وإنما قدم الترغيب في الآخرة على التنفير من الدنيا؛ لأن الترغيب في الآخرة مقصود بالذات، والتنفير من الدنيا مقصود بالعرض، والمقصود بالذات مقدم على المقصود بالعرض. [التفسير الكبير (٢٦/ ٢٦٤)].

وفي الآية دليل على أن من ينتفع بآيات الله ويتذكر بها فهو من أولي العقول السليمة، وأن من لم ينتفع بآيات الله ولم يتذكر بها فهو من الذين لا يعقلون.



البيان السابع والعشرون

بشأن مسودة الدستور الصادرة عن الجمعية التأسيسية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إنه في يوم السبت الموافق ٢٥ من ذي الحجة ١٤٣٢ هـ ١٠ نوفمبر ٢٠١٢م اجتمع مجلس شورى العلماء وقرر الآتي:

أولاً: يطالب مجلس شورى العلماء بوضع مادة فوق دستورية صريحة قاطعة تنص على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع وأن أي قانون يخالف الشريعة الإسلامية فهو باطل، قال الله تعالى: «**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**» (الجماعية: ١٨).

ثانياً: كل مسلم ينبغي أن يكون له دور في نصرة الشريعة ويبدل ما استطاع من جهد في سبيل تحكيم شريعة الله، مستخدماً كل سبل التأثير المشروعة في تحقيق ذلك.

ثالثاً: إذا أردنا دستوراً جديداً يصلح الله به البلاد والعباد، فيجب ألا يحل الدستور الجديد حراماً ولا يحرم حلالاً، ولا يصادم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في أي فقرة منه.

رابعاً: يعكف مجلس شورى العلماء - في هذه الأيام - على النظر في مواد الدستور التي أبدى ملاحظات عليها، منها المادة الأولى التي تتحدث عن النظام الديمقراطي الذي يتعارض في أصوله مع قواعد الإسلام، فإن كان واضح هذه المادة يقول أنها من الإسلام فالتصريح بكلمة النظام الإسلامي أحق، وإن كانت تخالف الإسلام فلا حاجة للمسلمين بها.

خامساً: المادة الثالثة من الدستور لا حاجة إليها بعد وجود المادة الثانية التي تكفل لغير المسلمين حقوقهم، والمجلس بصدد دراسة مواد مسودة الدستور مادة مادة، والتعليق على كل مادة بما يناسبها وسيصدر ذلك - بإذن الله - ببيان تفصيلي بهذه المواد المتحفظ عليها.

سادساً: نصت الدساتير السابقة في مصر على التطبيق العملي للشريعة الإسلامية، فنطالب بتفعيل هذه المواد على أرض الواقع، والشريعة الإسلامية هي اليسر كله، ولا عسر فيها، قال تعالى: «**يُرِيدُ اللَّهُ يَخَفُّ**» (البقرة: ١٨٥).

سابعاً: ليس لأحد من البشر العصمة إلا الرسل، فلا يصلح أن يكون بالدستور نص على أي أحد من الناس على أنه غير قابل للعزل أو الإقالة.

هذا والله الموفق والمستعان.

وصل اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم.

أعضاء المجلس

- ١- فضيلة الدكتور/ عبد الله شاكور، (رئيساً).
- ٢- فضيلة الدكتور/ محمد حسان، (نائباً).
- ٣- فضيلة الشيخ/ أبو إسحاق الحويني، (عضواً).
- ٤- فضيلة الشيخ/ محمد حسين يعقوب (عضواً).
- ٥- فضيلة الدكتور/ سعيد عبد العظيم، (عضواً).
- ٦- فضيلة الشيخ/ مصطفى العدوي، (عضواً).
- ٧- فضيلة الدكتور/ جمال المراكبي، (عضواً).
- ٨- فضيلة الشيخ/ أبو بكر الحنبلي، (عضواً).
- ٩- فضيلة الشيخ/ وحيد بن باني، (عضواً).
- ١٠- فضيلة الشيخ/ جمال عبد الرحمن، (منسق المجلس).

باب السنة

روى الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب العلم في باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، قال: حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان، حدثنا عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، حدثوني ما هي؟ قال: فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة. ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة».

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

إمام المحدثين:

من المعروف عند العلماء المحدثين وغيرهم أن الإمام البخاري واسع الجوانب في إمامته وعلمه، وعميق النظر في إدراكه وفهمه، دقيق الاستنباط في استخراج الأحكام من النصوص، قرأنا كانت أو سنة، وله في ذلك الباع الأوسع، والقدرة الفائقة العجيبة، لم يلحق به لاحق، ولم يسبق إلى ما أبدع فيه سابق، وهو إلى جانب إمامته في الحديث، وإمامته في الفقه، وإمامته في تاريخ الرجال، وإمامته في الجرح والتعديل، إلى جانب ذلك كله هو مُرَبِّ كبير عظيم، وإذا عُدَّ المربون في ملتنا وأمتنا - وما أكثرهم - فإن البخاري في صفوفهم الأولى؛ وذلك:

١- بإفراده في «صحيحه» باباً بل كتاباً مهماً هو «كتاب العلم»، ثم كتاباً آخر هو «كتاب الأدب»، وكل منهما فيه أبواب وفصول رائعة ثمينة، ولغات تربوية وتعليمية على غاية في الأهمية والنفاسة.

٢- بتأليفه كتاباً كبيراً مستقلاً في الأدب بمعناه العلم، وهو حسن السلوك مع الله، ثم مع الناس ديناً ودنياً، وهو الكتاب المشهور باسم «الأدب المفرد»؛ لأنه أفرد وجعله مستقلاً عن كتابه «الجامع الصحيح»، وقد استقرأ فيه البخاري ألواناً من السلوك الخلقى والاجتماعي اللائق بالمنزلة العالية التي أقام فيها القرآن العظيم، والإسلام الكريم، هذا الكائن الإنساني

الرسول

المعلم صلى الله

عليه وسلم

إعداد / أ. د. السيد عبد الحليم

الرفيع الذي قرر له كرامته في محكم كتابه فقال: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْجَنِّ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ النَّارِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا» [الإسراء: ٧٠].

ونحن في تأملنا في صنيع البخاري فيما أورده في «صحيحه» في «كتاب العلم» وفي «كتاب الأدب» وفيما أورده في «الأدب المفرد» نجد أنفسنا أمام مُرَبِّ كبير من أعظم المرين، وتاريخ الفكر التربوي والتعليمي لا ينسى أبداً أن البخاري هو أب المنهج الحديث الذي شق للناس طريقاً في نقل الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتمييز الحديث الصحيح من غيره، ثم إفراده الصحيح في كتاب.

والبخاري المربي هذا هو الذي خطَّ منهجاً كان له أثر كبير في الحياة الإسلامية الثقافية والتعليمية، أعني منهجه الحديثي وشرطه المعروف فيه.

والبخاري هو الذي أوتي الفهم الدقيق لمضمون الحديث، واستخرج ما فيه من حكم وأحكام، وتوزيعه الحديث الواحد على الأبواب، أي تقطيعه له، وإيراده منه في كل باب ما يناسبه؛ يدل على مدى تصور البخاري لشمول الحياة، وضرورة تحري كل ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أمر من أمور الحياة دقيقاً أو جليلاً.

وبحسبنا وقد أَمَحْنَا إلى مكانة الإمام البخاري في ميدان التربية الإسلامية، وأثره الطيب فيها أن نعود إلى شرح الحديث الذي سبق ذكره.

وإلى بيان من أخرجه من العلماء في كتابه فنقول: هذا الحديث الشريف رواه البخاري في عشرة مواضع من «صحيحه»، فرواه في أربعة مواضع من كتاب العلم:

أولاً: في باب قول المحدث: أنبأنا وأخبرنا وحدثنا، يريد البخاري بهذا أن هذه الألفاظ الثلاثة: التحديث والإنباء والإخبار تكون بمعنى واحد؛ لأنه جاء في رواية من روايات هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فحدثوني ما هي؟» وفي رواية: «أنبئوني؟» وفي رواية: «أخبروني؟».

ثانياً: روى البخاري هذا الحديث في باب: طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم.

ثالثاً: في باب: الفهم في العلم.

رابعاً: في باب: الحياء في العلم.

خامساً: ورواه في «كتاب البيوع» في باب: بيع الجمار وأكله.

سادساً: ورواه في «كتاب الأطعمة» في باب: بركة النخلة.

سابعاً: في باب: أكل الجمار.

ثامناً: ورواه في «كتاب التفسير» في تفسير سورة

إبراهيم عليه السلام عند ذكر قوله تعالى: «الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

تاسعاً: ورواه في «كتاب الأدب» في باب: ما لا يستحى من الحق للفتنة في الدين.

عاشراً: في باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال.

ورواه الإمام مسلم في «صحيحه» في أواخر «كتاب صفة القيامة والجنة»، قبل «كتاب صفة الجنة وأهلها ونعيمها».

ورواه الإمام أبو عيسى الترمذي في «سننه» في أبواب الأمثال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب: ما جاء في مثل القارئ للقرآن وغير القارئ، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

ورواه الإمام مالك في كتابه «الموطأ» من رواية ابن القاسم وغيره، أما رواية يحيى الليثي فإنه لا وجود لهذا الحديث فيها، كما أفاد الإمام السهيلي ونقله عنه المفسر القرطبي في «تفسيره».

ورواه الإمام أحمد في «مسنده» في ستة مواضع من مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنه، كما رواه ابن حبان في «صحيحه»، وأبو عوانة في «صحيحه» أيضاً.

وقد رأيت أن أجمع بين رواية هؤلاء لهذا الحديث الشريف ليكون لنا منها جميعاً نص كامل نتبين منه ما سنشير إليه من الأحكام والآداب والفوائد الغالية المستنبطة.

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بجمار نخلة، فقال وهو يأكل منه: إن من الشجر شجرة خضراء، لها بركة كبركة المسلم، لا يسقط ورقها، ولا يتحات، وإنها ينتفع بها مثل المسلم، أو قال: تشبه المسلم أو المؤمن، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فحدثوني ما هي؟ قال عبد الله بن عمر: فوقع الناس في شجر البواقي، فقال القوم: هي شجرة كذا، هي شجرة كذا، وقالوا، وقالوا، فلما لم يقولوا شيئاً ولم يصيبوا، وقع في نفسي أنها النخلة، فارتدت أن أقول: هي النخلة، فالتفت فإذا أنا عاشر عشرة، أنا غلام شاب أحدثهم؛ أصغر القوم، ورأيت أبا بكر وعمر ثمة لا يتكلمان، فلما لم يتكلما كرهت أن أتكلم فاستحييت وسكت، فلما لم يقولوا شيئاً قالوا: يا رسول الله أخبرنا بها، حدثنا ما هي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي النخلة، فلما قمنا خرجت مع أبي وحدثته ما وقع في نفسي،

وقلت: يا ابتاه: والله لقد كان في نفسي أنها النخلة، من أجل الجمار الذي أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما منعك أن تقولها؟ قلت: ما منعني إلا أنني لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً، فقال عمر: لأن تكون قلتها كان أحب إلي من كذا وكذا، أحسبه قال: كان أحب إلي من حُمُر النعم.

ترجمة رواية الحديث:

فاول هؤلاء الرواة من جهة البخاري: خالد بن مخلد، وهو أبو الهيثم القطواني البجلي الكوفي، روى عن سليمان بن بلال وعن سفيان الثوري، وعبد الله بن عمر وغيرهم، وروى عنه البخاري وأبو بكر بن أبي شيبة وصالح بن القطان وعباس الدوري. وثقه البخاري والعجلي وابن معين. وأما قول الإمام أحمد فيه: يروي المناكير، فلم يرد أحمد بذلك أنه ضعيف الحديث، وإنما يريد أن له أحاديث أفراداً لا متابع لها عليها، كما بينه الإمام اللكنوي في كتابه: «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل»، وكانت وفاة خالد بن مخلد سنة ٢١٣هـ.

وثاني هؤلاء الرواة: سليمان وهو أبو محمد سليمان بن بلال المدني الفقيه المشهور، روى عن زيد بن أسلم وعبد الله بن دينار وحמיד الطويل وهشام بن عروة وجعفر الصادق وغيرهم، وروى عنه أبو عامر العقدي وعبد الله بن المبارك ويحيى النيسابوري وغيرهم، أثنى عليه مالك، ووثقه أحمد وابن معين، وقال ابن سعد: كان ثقة عاقلاً، حسن الهيئة، يفتي الناس بالمدينة، مات سنة ١٧٢هـ.

الشيخ الثالث في سند البخاري: هو عبد الله بن دينار، وهو عبد الله بن دينار العدوي المدني التابعي الجليل، مولى ابن عمر، روى عن عدد من الصحابة، منهم ابن عمر وأنس رضي الله عنهما، وروى عن سليمان بن يسار ونافع القرشي وغيرهم، وروى عنه الإمام مالك وشعبة بن الحجاج أبو بسطام، وعبد العزيز بن الماجشون وجماعات غيرهم، واتفقت الكلمة على توثيقه وصدقه ودينه وفضله، وما قاله ابن الحذاء في «رجال الموطأ» من أنه لا يعلم له رواية عن أحد إلا عن ابن عمر ففيه قصور شديد، كما نبّه إليه الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب»، وكانت وفاة ابن دينار سنة ١٢٧هـ.

الشيخ الأخير في سند البخاري هو سيدنا عبد الله بن عمر، وهو الصحابي ابن الصحابي عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، يكنى أبا عبد الرحمن، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن عمه زيد وعن عائشة وعن أخته حفصة، وعن غيرهم من الصحابة.

وروى عنه أبناؤه السبعة: بلال وزيد وحمزة وسالم

وعبد الله وعبيد الله وعمر، وأبناء أبنائه، وأبناء إخوته، ونافع وأسلم وسعيد بن المسيب ومجاهد، وابن دينار، وخلائق غيرهم لا يحصون كثرة.

أثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزكاه خير تزكية، فقال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «إن عبد الله رجل صالح».

قال الحافظ أبو نعيم: أعطي ابن عمر القوة في المجاهدة والعبادة، والرجولة، والمعرفة بالآخرة، والإيثار لها، وما مات حتى أعقق ألف إنسان أو أزيد، وتوفي سنة ٧٤هـ بعد الحج، ومات.

شرح الحديث:

أما «جمار النخلة» فهو قلب النخلة وشحمها، يكون لدينا ويؤكل بالعسل، قال أبو بكر بن العربي: ويقال له الجامور أيضاً.

وأما «بركة النخل» فهي خيره ونفعه العميم. فاما قوله: «لا يتحات ورقها» أي لا يتناثر ولا يتساقط. وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «وإنها مثل المسلم»، فهذا اللفظ الكريم روي بكسر الميم وسكون الناء، وروي بفتح الميم وفتح الناء أي مثل المسلم، وكلاهما بمعنى واحد.

قال الجوهري في «الصحاح»: مثل الشيء ومثله: كلمة تسوية، كما يقال: شُبَّهه وشَبَّهه بمعنى واحد، قال: والمثل أيضاً ما يضرب من الأمثال.

وجه شبه النخلة بالمسلم قائم من جهات كثيرة، وذلك في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه أنواع حتى ييبس، وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة، فخشبها وورقها وأغصانها تستعمل جنوعاً وحطباً وعصياً، وغير ذلك مما لا يخفى، ثم آخر شيء نواها، فإنه يُنتفع به علماً للإبل.

وأما جمال نباتها، وحسن هيئة ثمرها، وفارع طولها، واستمرار خضرة أوراقها، وتماسك جذعها، من أن تلعب به الرياح والأعاصير، وكريم ظلها لمثل من كان في قلب جزيرة العرب: فمنافع مشهودة ومتعة محمودة.

وكذلك المسلم والمؤمن كله خير ونفع، فهو ثابت الإيمان بالله كثيوت النخلة على أساسها، باهي العمل، سامي القول، كعلو النخلة في السيماء، كثير الطاعات على ألوانها ما بين صائم ومصل، وتال للقرآن ومتصدق، وذاكر لله ومذكر بالله، وأمر بالمعروف ونه عن المنكر، يخالط الناس ويصبر على أذاهم، ألف مألوف، ينفع ولا يضر، مكارم أخلاقه مبذولة للناس، لا يزيده طول الأيام إلا بسوقاً وارتفاعاً، ولا تجد فيه الشدائد والأهوال إلا ثباتاً ورسوخاً على الحق، وسمواً إلى الخير والنفع، وشفوقاً عن الدنيا والسفاسف، عمله صاعد إلى ربه

وفي الحديث أيضًا: امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى، مع بيانه لهم إن لم يفهموه، كما بوب البخاري.

وفي الحديث أيضًا: إشارة إلى أن من يُوجَّه إليه اللغز ينبغي أن يتفطن إلى قرائن الأحوال الواقعة عند السؤال، وأن قاتل اللغز ينبغي ألا يبالغ في التعمية، بحيث يجعل للملغز له بابًا يدخل منه، بل كلما قرَّبه كان أوقع في نفس سامعه.

وأما ما رواه أبو داود من حديث معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه «نهى عن الأغلوطات»، وهي صعاب المسائل، فإن ذلك محمول على ما لا نفع فيه، أو على ما يُقال على سبيل التنعيت والتعجيز.

واستفيد من حديث ابن عمر التحريض على الفهم في العلم، وقد بوب البخاري عليه بقوله: «باب الفهم في العلم»، كما استفيد منه استحباب الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة، ولذلك تمنى عمر أن يكون ابنه لم يسكت.

أما تشبيه الله تعالى كلمة التوحيد بالنخلة، فهذه الكلمة الطيبة هنا في الآية الكريمة عبر بها عن المبدأ الكلي الجامع، الذي يعتنقه الإنسان المؤمن، ويقول به، ويعلنه في الناس.

كما فيه الإشارة إلى أن تشبيه الشيء بالشيء لا يلزم أن يكون ذلك المشبه نظير المشبه به من جميع وجوهه، فإن المؤمن كما قال الإمام أبو بكر بن العربي: «لا يماثله شيء من الجمادات، ولا يعادله حتى الكعبة المعظمة التي يستقبلها في العبادة، فلا شيء بعد الله ورسوله أعظم من المؤمن».

وفي الحديث الشريف: توفير الكبير وتقديم الصغير أباه في القول، وأنه لا يبادره بما فهمه، وإن ظن أنه الصواب.

وفي الحديث أيضًا: أن العالم الكبير قد يخفى عليه ما يدركه من هو دونه؛ لأن العلم مواهب، والله يؤتي فضله من يشاء.

وفي الحديث أيضًا: الإشارة إلى حقارة المال النفيس في جلب النعم، فإن عمر رضي الله عنه قابل فهم ابنه لمسألة واحدة بحمى النعم، مع عظم مقدار ثمنها وغلائها عند العرب آنذاك.

وفي الحديث أيضًا: أكل النبي صلى الله عليه وسلم بحضرة القوم، وهو سيد السادات، ويستفاد منه أن ذلك لا يخض من مقامه العظيم إذا فعله.

وبعد: فقد تضمن هذا الحديث لونا من ألوان التعليم عند النبي صلى الله عليه وسلم.

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، والحمد لله رب العالمين.

بالقبول والرضوان، إن جالسته نفك، وإن شاركته نفك، وإن صاحبه نفك، وإن شاورته نفك، وكل فعل من أفعاله نفع، وما يصدر عنه من العلوم فهو قوت للأرواح والقلوب، لا يزال مستورا بدينه لا يعرى من لباس التقوى، ولا ينقطع عمله في غنى أو فقر، ولا صحة أو مرض، بل لا ينقطع عمله بعد موته إذا نذر من حياته لأخرته، وغنم من يومه لغده، ينتفع من كل ما يصدر منه حيا وميتا؛ إذ مبعث أعماله كلها الإيمان والنفع.

وأما وجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق.

فقال الإمام أبو بكر بن العربي: هو أن النخلة لا تعرى عن لباسها من الورق، فالمؤمن لا يعرى عن لباس التقوى، فإن اللباس الظاهر بقيه من آفات الدنيا، والتقوى تقيه من آفات الآخرة.

وقال الحافظ ابن حجر: وجه الشبه بينهما هو ما رواه الحارث بن أسامة في هذا الحديث من وجه آخر عن ابن عمر، ولفظه: «كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فقال: إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا يسقط لها أئمنه، أتدرون ما هي؟ قالوا: لا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنها النخلة».

نمرات من هذا الحديث:

وأفاد الحديث الذي نشرحه أحكاما كثيرة وفوائد عديدة، وبين العلماء هذه الفوائد وهذه الأحكام:

أفاد الحديث: بركة النخلة وما تفره، وبكفي في الدلالة على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب بها المثل بالمؤمن، وأن الله تعالى ضرب بها المثل في كلمة التوحيد، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، فقال سبحانه: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۚ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

واستدل الإمام مالك رضي الله عنه من هذا الحديث على أن الخواطر التي تقع في القلب في محبة الذناء على أعمال الخير لا يقدح فيها ذلك إذا كان أصلها لله عز وجل، وذلك مستفاد من تمنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يكون ابنه قال في جواب سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم: هي النخلة، ووجه تمنى عمر رضي الله عنه ما طبع الإنسان عليه من محبة الخير لنفسه ولولده، ولتظهر فضيلة الفهم في الولد من صغره، وليزداد من النبي صلى الله عليه وسلم حظوة، ولعله كان يرجو له إذ ذاك أن يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالزيادة في الفهم.

درر البحار من ضيف الأحاديث القصار



علي حشيش

إعداد /

الحلقة الرابعة

٤٤- «دَفَنُ الْبَنَاتِ مِنَ الْمُكْرَمَاتِ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٧٨/٢) (٤٤٢/٣) من حديث ابن عمر مرفوعاً، وفيه حميد بن حماد يحدث عن الثقات بالماكير، والحديث موضوع.

٤٥- «إِذَا سَمَيْتُمْ فَعَبِّدُوا».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٨٣/١٧٩/٢٠) من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه مرفوعاً، وفيه أبو أمية بن يعلى الثقفي واسمه إسماعيل بن يعلى، قال الذهبي في «المغني»: بصري متروك، وبه أعله الهيثمي في «المجمع» (٥٠/٨).

٤٦- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْتِكُ سِتْرَ عَبْدٍ فِيهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٢٩/٣) من حديث أنس مرفوعاً، وفيه الربيع بن بدر قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢٠٠): متروك.

٤٧- «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الشَّمْسِ، فَإِنَّهَا تُبْلِي الثُّوبَ، وَتُبَيِّنُ الرِّيحَ، وَتُظْهِرُ الدَّاءَ الدَّفِينِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤١١/٤) من حديث ابن عباس مرفوعاً، وتعقبه الذهبي في «التلخيص» بقوله: «قلت: ذا من وضع الطحان». اهـ. وهو محمد بن زياد الطحان.

٤٨- «إِنَّ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَخْرُجَ الرَّجُلُ مَعَ ضَيْفِهِ إِلَى بَابِ الدَّارِ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه (ح٣٣٥٨)، وفيه علي بن عروة، قال ابن حبان: كان يضع الأحاديث، كذا في «المجروحين» (١٠٧/٢).

٤٩- «لَا تَتَمَارِضُوا فَتَمَرِضُوا، وَلَا تَحْفَرُوا قُبُورَكُمْ فَتَمُوتُوا».

الحديث لا يصح: أورده ابن أبي حاتم في «العلل» (٣٢١/٢) (ح٢٤٨١) عن ابن عباس مرفوعاً، وقال: سألت أبي عنه فقال: «هذا حديث منكر». وآفته محمد بن سليمان

الصنعاني، قال الذهبي: «مجهول والحديث الذي رواه منكر، يعني هذا».

٥٠- «الْعَالَمُ لَا يُخَرِّفُ».

الحديث لا يصح: أورده ابن أبي حاتم في «العلل» (٤٣٩/٢) (ح ٢٨٢١) من حديث أنس مرفوعاً، وقال: سألت أبي عنه فقال: فيه العلاء بن زيد، ضعيف الحديث متروك الحديث، وقال الذهبي: تالف، قال ابن المديني: كان يضع الحديث.

٥١- «أَنَا عَرَبِيٌّ، وَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ، وَلِسَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧١/١٠) (ح ٩١٤٣) من حديث أبي هريرة، وفيه عبد العزيز بن عمران، قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٣٩٣): متروك الحديث.

٥٢- «مَا أُوتِيَ قَوْمٌ الْمَنْطِقَ إِلَّا مُنِعُوا الْعَمَلَ».

الحديث لا أصل له، قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤٢/١): «لم أجد له أصلاً».

٥٣- «تَخَلَّلُوا فَإِنَّهُ نَظَافَةٌ، وَالنَّظَافَةُ تَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي الْجَنَّةِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٥٣/٨) من حديث أبي مسعود، وفيه إبراهيم بن حيان، قال ابن عدي في «الكامل» (٢٥٤/١) (٨٤/٨٤) أحاديثه موضوعة مناكير.

٥٤- «مَا مُطِرَ قَوْمٌ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا قَحِطُوا إِلَّا بِسَخَطِهِ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٧٤٣) من حديث أبي أمانة مرفوعاً، وفيه جميع بن ثوب، قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٣٣١/٢٤٣/١): «منكر الحديث»، وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (١٠٥): «متروك».

٥٥- «تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ فَتَهْلُكُوا».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (ح ٤) من حديث أبي ذر مرفوعاً، وفيه سيف بن محمد الكوفي ابن أخت سفيان الثوري، قال أحمد: كذاب، وقال ابن معين: كذاب. كذا في «الميزان» (٣٦٣٩/٢٥٦/٢).



دراسات قرآنية

الخشوع

فينبغي للمؤمن أن يرتقب وينتقل من مرتبة التدبر إلى مرتبة الخشوع، وتهزه كلمات الله تعالى، قال تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» [الحديد: ١٦]. والشاهد في الآية الكريمة أن الموجّه إليهم الخطاب هم المؤمنون، ولكنهم لم تخشع قلوبهم بعد، مما يدل على أن الخشوع هو الدرجة الأعلى التي تلي درجة القلب السليم، والتي توصلنا إلى أنها أول درجات الإيمان وأدنى مراتب حياة القلوب، فما هو الدافع لهذه القلوب إلى أن ترتقي إلى مرتبة أعلى في دائرة الإيمان؟ إنه الخشوع، ولكن خشوع القلب، فاحكام الله تكاليف، قال الله تعالى: «وَأَنهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْفَاسِقِينَ» [البقرة: ٤٥]، ومما صرح من أدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع». رواه مسلم، [كتاب القلب ووظائفه لسلمان وزيد اليماني].

الخشوع لغة:

قال ابن القيم في المدارج: «الخشوع في أصل اللغة: الانخفاض، والذل والسكون، قال الله تعالى: «وَحَشَعْتُ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ» [طه: ١٠٨]، أي: سكنت، وذلت، وخضعت، ومنه وصف الأرض بالخشوع وهو يبسها، وانخفاضها، وعدم ارتفاعها بالري، قال الله تعالى: «وَمَنْ أَعْيَبَهُ أَنْكَرَى الْأَرْضَ خَشِيعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْزَلَّتْ وَرَبَتْ» [قصص: ٣٩]، وقال ابن تيرد: الخاشع: المستكين، والراكم.

واصطلاحاً: قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل، وقيل: هو الانقياد للحق، وقال الجنيد: الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب. قال ابن القيم رحمه الله: والحق أن الخشوع معنى يلتئم من التعظيم والمحبة والذل والانكسار. [مدارج السالكين ٥٨/١ بتصرف].

الفرق بين الخشوع والخضوع:

ذهب بعض العلماء إلى أن تعريف الخشوع بالخضوع فيه تسامح؛ إذ إن الخضوع ورد مرتين في الذكر الحكيم على غير سياق المدح، فقال تعالى: «فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْعَمَ أَلْفِي فِي قَلْبِهِ مَرْصً» [الأحزاب: ٣٢]، وقال تعالى: «إِنْ شَاءَ نَزَّلَ عَلَيْهِمُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لِمَا خَضِعِينَ» [الشعراء: ٤].

والخضوع هو التطامن والتطاطؤ، ولا يقتضي

مصطفى البصراوي

إعداد /

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

وأله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تكلمنا في الحلقتين السابقتين عن تدبر القرآن الكريم، ولا شك أن التدبر يورث الخشوع، وأن من تدبر القرآن خشع لله، ولأن قلبه، وخاف من الله تعالى، وقد ذكر الله عاقبة الخوف، فقال عز وجل: «إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» [الملك: ١٢]. فامر بالخوف وأوجبه وجعله شرطاً في الإيمان؛ فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن الخوف، وإن ضعف فيكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه، وقال عز وجل: «وَالَّذِينَ فَازَتْهُمْ يُؤْتُونَ» [البقرة: ٤٠]، وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ تُشْفِقُونَ» [٥٧] وَالَّذِينَ هُمْ يُؤْتُونَ» [٥٨] وَالَّذِينَ هُمْ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ رَاحَةٌ إِنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ كَاشِعُونَ» [٥٩] أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَزَنِ وَيُؤْتُونَ مَا سَأَلُوا» [المؤمنون: ٥٧-٦١].

أن يكون معه خوف، ولهذا لا يجوز إضافته إلى القلب فيقال خضع قلبه، وقد يجوز أن يخضع الإنسان تكلفاً من غير أن يعتقد أن المخضوع له فوقه، ولا يكون الخشوع كذلك. [كتاب الفروق اللغوية ص ٢٠٦].

والخشوع محله القلب، وثمرته على الجوارح، وهي تظاهرة، وليس مقصوراً على القلب، بل كل ما في الإنسان له حالة خشوع، كالسمع والبصر، والمخ والعظم والعصب، والوجه والأصوات، وكذلك الجماد كالأرض والجبل، وأوضح ذلك القرآن والسنة، سواء كان ذلك في الدنيا أو عند البعث.

فغن خشوع الأصوات يقول الحق تبارك وتعالى: «وَحْشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا» [طه: ١٠٨].

وعن الأنصار يقول الحق تبارك وتعالى: «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْفَعُهُمْ ذِلَّةً» [القلم: ٤٣]، ومثلها في (المعارج: آية ٤٤)، وقال تعالى: «فَلَوْبُ يَوْمٍ ذِي جَعْدَةٍ أَبْصَرُهَا خَاشِعَةً» [النازعات: ٨، ٩]، وعن الوجوه قال تعالى: «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ» ① «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ» [الغاشية: ١، ٢]، وعن بقية الجوارح ورد في الحديث الصحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ركع قال: «اللهم لك ركعت، وبك أمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي» رواه مسلم.

وعن الجماد قال تعالى: «لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّصَادِعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» [الحشر: ٢١]، وقال تعالى: «وَمَنْ آتَيْنَاهُ نَاوِيغًا يُدْرِكُ الْأَرْضَ يَحْشَعُهَا» [فصلت: ٣٩]. [القلب ووظائفه في الكتاب والسنة ص ١٠٧].

وسواء كان المقصود من الخشوع حسياً أو معنوياً، فالمقصود التذلل والسكون مع الله تبارك وتعالى، وعدم الفتور والتكاسل.

وفسره الألوسي رحمه الله بأنه: «الانقياد التام لأوامر الله ونواهيه، والعكوف على العمل بما فيها من الأحكام، من غير توان ولا فتور». [روح المعاني: ١٨٠/٢٧].

ويكمل الخشوع بتصفية الوقت من مراعاة الخلق، وتجريد رؤية الفضل؛ فيخفي أحواله عن الخلق جهده، كخشوعه وذله وانكساره، لئلا يراها الناس فيعجبه اطلاعهم عليها، ورؤيتهم لها، فيفسد عليه وقته وقلبه وحاله مع الله، وكم

قد اقتطع في هذه المفازة من سالك والمعصوم من عصمه الله، فلا شيء أنفع للمصادق من التحقق بالمسكنة والفاقة والذل، وأنه لا شيء، وأنه ممن لم يصح له بعد الإسلام، حتى يدعي الشرف فيه، قال ابن القيم رحمه الله: ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - من ذلك، أمراً لم أشاهده من غيره، وكان يقول كثيراً: ما لي شيء، ولا مني شيء، ولا في شيء.

وأما تجريد رؤية الفضل: فهو أن لا يرى الفضل والإحسان إلا من الله، فهو المان به بلا سبب من العبد، ولا وسيلة سبقت منه توصل بها إلى إحسانه، بل إن جميع ما وصله من خير فمن منة الله عليه، وبفضله عليه من غير استحقاق منه، ولا بذل عوض يستوجب به ذلك، كما قال تعالى: «يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ أَنْ أَسْأَلَكُمْ شَيْئاً فَالْتَمَسْتُكَ عَلَىٰ إِنْ سَأَلْتُكَ بِأَلِّ إِلَهٍ يَمُنُّ عَلَيْكَ أَنْ هَدَيْتَكَ لِلْإِيمَانِ إِنَّ كَثَرٌ صَادِقِينَ» [الحجرات: ١٧].

مكانة الخشوع:

أول ما تفقد هذه الأمة الخشوع، فقد ورد في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة» رواه الحاكم في المستدرک وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

فالخشوع أول ما يُرفع من القلوب، تتلوه أعمال الجوارح، كعقد انفرط فقتابع نظمه، فيذهب الخشوع تكون العبادة بغير روح.

ويذهب الخشوع يذهب العلم، وفي الأثر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «إن شئت لأحدثنك بأول علم يُرفع من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً». رواه الترمذي وصححه الترمذي.

الخشوع في الصلاة:

قال تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» ① «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» [المؤمنون: ١-٢]، فلما ذكر بقية صفاتهم ذكر جزاءهم، فقال: «أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ» ② «الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» [المؤمنون: ١٠-١١].

قال الحسن البصري رحمه الله: وقوله تعالى: «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» قال: كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا ذلك أبصارهم وخفضوا لذلك الجناح. [تفسير ابن كثير ٣/٣٨].

قال ابن القيم: علق الله فلاح المصلين بالخشوع في صلاتهم، فدل على أن من لم يخشع فليس من

أهل الفلاح.

وعن عثمان رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٌ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ بِكَبِيرَةٍ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ)) رواه مسلم في صحيحه.

وكان هذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يكون في الصلاة، فعن مطرف عن أبيه قال: (رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل.. يعني يبكي)، رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني.

قال ابن القيم في الوابل الصيب: (صلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت بلا روح فيه، أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً، أو جارية ميتة؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أمير أو غيره، فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور، وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد أو الأمة الميت الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك، ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الغرض في أحكام الدنيا، ولا يثيبه عليها؛ فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها).

قال بعضهم: إن الرجلين ليكونان في الصلاة، وإن ما بينهما كما بين السماء والأرض.

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وإن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها) [أبو داود وحسنه الألباني].

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وأثرها على غيرها، وحينئذ تكون له قرة عين، عن أنس رضي الله عنه: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حُبِّبْ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءَ وَالطِّيبَ، وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»، رواه النسائي، بل إنه عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر صلى، وكان يقول: «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة». رواه أبو داود.

قال النووي في التبيان: وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه صلى بالجماعة الصبح فقراً سورة يوسف، فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته، وفي رواية: أنه كان في صلاة العشاء،

وهذا يدل على تكرره منه، وفي رواية: فبكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف.

الأمور التي تعين على الخشوع في الصلاة:

أولاً: أن يستحضر المسلم عظمة الباري سبحانه وتعالى، وأنه واقف بين يدي جبار السموات والأرض، قال الله تعالى: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ» وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بَقِصَّةً يَوْمَ الْيَوْمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينًا سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [غافر: ٦٧].

ثانياً: أن ينظر المسلم إلى موضع السجود ولا يلتفت في صلاته، فعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت، فإذا صرف وجهه إنصرف عنه». رواه أحمد وحسنه الألباني.

ثالثاً: تدبر القرآن الكريم والأذكار والتي يقولها في الصلاة، قال تعالى: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا» [محمد: ٢٤]. فإذا تدبر المسلم أذكار الركوع والسجود وغيرها من الأذكار كان ذلك أوعى للقلب وأقرب للخشوع.

رابعاً: أن يصلي صلاة مودع؛ كأنه سيموت بعد الصلاة، فقد أخرج أحمد في مسنده عن أبي أيوب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع» وصححه الألباني.

خامساً: أن يهين المصلي نفسه فلا يصلي وهو حاقن ولا بحضرة طعام، قال صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة بحضرة الطعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان». رواه مسلم.

سادساً: مجاهدة النفس في الخشوع، فالخشوع ليس بالأمر السهل، فلا بد من الصبر والمجاهدة قال تعالى: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» [العنكبوت: ٦٩]، ومع الاستمرار والمجاهدة يسهل الخشوع في الصلاة بحول الله وقضه.

سابعاً: استحضار الثواب المترتب على الخشوع، فعن عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبله من الذنوب، ما لم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله». رواه مسلم. نسال الله أن يجعلنا من الخاشعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



لا إله إلا الله كلمة التوحيد

ثمرات وبركات

■ الحمد لله الذي أحيا نفوس الموحدين، وملا كؤوس الذاكرين من أقحاح لا إله إلا الله،

وفتح أبواب الخيرات على أرباب المجاهدات بمفتاح لا إله إلا الله، وأبدع المصنوعات

وأوجد المخلوقات ووسمها بميسم لا إله إلا الله، خلق الجنين من ماء مهين ليعبده بلا إله

إلا الله، أرسل الرسل لأجلها مبشرين، وعن ضدها محذرين، فدعوا الناس كلهم إلى العمل

بلا إله إلا الله. ■■

معاوية محمد هيكل

إعداد

الناس عند ذلك فريقين، وسلخوا فريقين؛ فريق انقاد للعمل بلا إله إلا الله، والآخر خاب لعلمه أن دين أبائه تبطله لا إله إلا الله، فسيحان من فاوت بين عبادته بمقتضى حكمته ومراده، وذلك من أدلة لا إله إلا الله، فطوبى لمن عَرَف معناها فارتضاها، وعمل باطناً وظاهراً بمقتضاها، فيكون قد حقق لا إله إلا الله، وويل لمن أصابه الشيطان بالأشراك فرماه في هوة الإشراك، فأبى واستكبر عن الانقياد لـ «لا إله إلا الله»، ألم تسمعوا قول الله: «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» حقيقة أن لا إله إلا الله: الذي هو إفراده بجميع العبادات، وتخصيصه بالقصد والإرادات، ونفيها عما سواه من جميع المعبودات التي نفتها لا إله إلا الله؛ ذلك هو الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله الذي لا يُبقي في القلب شيئاً لغير الله، ولا إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما به أمر الله. هذا والله هو حقيقة لا إله إلا الله.

وأما من قالها بلسانه ونقضها بفعله فلا ينفعه قول لا إله إلا الله، فمن صرف لغير الله شيئاً من العبادات وأشرك به أحداً من المخلوقات فهو كافر ولو نطق ألف مرة بـ «لا إله إلا الله».

فيا ذوي الأسماع العتيدة؛ لا تظنوا أمور الشرك منكم بعيدة، فإن هاهنا مهاو شديدة تقدر في «لا إله إلا الله» أين من وحّد الله بالحب والخوف والرجاء والعبادة؟ أين من خصه بالذل والخضوع والتعظيم والقصد، وأفرده بالتوكل فجعل عليه اعتماده؟ كل هذا من معاني لا إله إلا الله، فسارعوا عباد الله

فهي رأس الملة والدين، وهي حبل الله المتين، فما خاب من تعلق بحبل لا إله إلا الله، غويت أحلام الجاهلين، وضلت أفئدة المعاندين؛ حيث جعلوا إلهين اثنين بعدما طلع بدر لا إله إلا الله.

أحمد سبحانه وأشكره إذ جعلنا من أهل لا إله إلا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنجي قائلها إذا خاب أهل الشرك، ونجا أهل لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جدد الله به ما درَس من معالم لا إله إلا الله، ومع ذلك قال له:

«فاعلم أنه لا إله إلا الله»، فصعد بها ونادى ووالى عليها وعادى، وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق لا إله إلا الله»، فدعا إلى الله سرّاً وجهاراً وليلاً ونهاراً، حتى انكشف الغطاء عن وجه لا إله إلا الله، اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين حمّوا بمرهفاتهم حوزة لا إله إلا الله، وسلم تسليمًا كثيرًا وبعد.

فيا إخوة الإسلام: اتقوا الله تعالى وجددوا إيمانكم في الصباح والمساء بتأمل معنى لا إله إلا الله.

فيا ذوي العقول الصراح، وبيا ذوي البصائر والفلاح، نادوا بالفلاح، فلا فلاح إلا لأهل لا إله إلا الله، فكلمة الإسلام ومفتاح دار السلام لا إله إلا الله، فلا قامت السموات والأرض ولا صحت السنة والفرس ولا نجا أحد يوم العرض إلا بلا إله إلا الله.

ولا جُردت سيوف الجهاد، وأرسلت الرسل إلى العباد إلا ليعلموهم العمل بلا إله إلا الله، فانقسم



وكلام السلف الصالح.

١- لا إله إلا الله ركن الإسلام الأعظم:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً» متفق عليه.

فالأعمال الخمسة تصديق بالله ووحدانيته، وأنه لا شريك له، وإيمان برسالة رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم أفعال تصدق هذا الإيمان وتؤكد هذه الشهادة، وقد أجمعت الأمة على أن كلمتي الشهادة هي الركن الأول للإسلام وعليها تُبنى الأعمال ولا يُقبل إسلام ولا يصح عمل بدونها، فلا إله إلا الله رأس الإسلام، وأساس بنائه، وعمود فسطاطه، وبقية الأركان والفرائض متشعبة منها، مكملات لها، مفيدة بالترزام معناها، والعمل بمقتضاها.

٢- الحد الفاصل بين الإسلام والكفر:

فلا إله إلا الله علم على الإيمان، وهي الكلمة الوحيدة التي تخرج قائلها من معسكر الشرك والكفران إلى معسكر التوحيد والإخلاص والإيمان، وعليها يكون الولاء والبراء، وفيها يكون الحب والعداء، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْتُكُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» [سورة التوبة: ٢٣] ولأجلها وبها يفرق بين القريب وقريبه، قال الله تعالى: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...» [المجادلة: ٢٢].

وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في النار، مع كونهم يصلون ويصومون ويتصدقون، ولكن المراد معرفتها بالقلب، ومحبتها، ومحبة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداته.

٣- عاصمة الدم والمال:

فلا تُعصم الدماء والأموال إلا بحقها، وإيمان الكافر موقوف على النطق بها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض أعدت للمتقين، الذين قاموا بواجبات لا إله إلا الله، ولا تجعلوا مع الله إله آخر إني لكم منه نذير مبين.

وتمسكوا بعري لا إله إلا الله، فمن نفى ما نفته، وأثبت ما أثبتته، ووالى عليها وعادى، رفعته إلى أعلى عليين منازل أهل لا إله إلا الله، [خطب الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتصرف يسير].

فضائل لا إله إلا الله

إن كلمة لا إله إلا الله أمرها عظيم وخطبها جسيم، وشأنها جليل؛ لأنها كلمة على الله كريمة، ولها عند الله مكان وشان، أعلاها مثمر، وأسفلها مغدق، ولا توجد في الوجود كله كلمة أشرف من لا إله إلا الله، ولا توجد في الدنيا ولا في الآخرة كلمة ثبتت لها من الفضائل ما ثبت لـ «لا إله إلا الله»، ففضائلها لا يمكن عدّها وحصرها؛ فلأجل لا إله إلا الله خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، ولأجلها قامت السموات والأرض وخلقت الخلائق، قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» [الذاريات: ٥٦] وقبول الأعمال متوقف على النطق بها، والعمل بمقتضاها، من قالها صادقاً أدخله الله بها الجنة، ومن قالها كاذباً حققت دمه، وأحرزت ماله، ولقي الله غداً فحاسبه عليها.

إنها أفضل الذكر وأصدق الكلام، ومفتتح الخطب، إنها تاج الموحدين، ونور أفئدة المتقين، وحصن الأمان وسفينة النجاة، إنها كلمة الشهادة، ومفتاح دار السعادة، عليها أسست الملة، ولأجلها نصبت القبلة، وجُرّبت سيوف الجهاد، قال تعالى: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كَلِمَةً لِلَّهِ» [الأنفال: ٣٩].

لأجلها نصبت الموازين، ووُضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وهي التي فرقت الناس إلى مؤمنين وكفار، وميزتهم إلى السعداء أهل الجنة، والأشقياء أهل النار، وبها تكون السعادة والشقاوة، بل لا وصول للسعادة في الدارين إلا بها، وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء فيها والخلود، بها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وعنهما يسال الأولون والآخرون.

ولعظم معانيها تعددت أساميها، ومع أن فضائلها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون إلا أننا سنحاول إن شاء الله في هذا المقال بيان ما تيسر من أساميها الشريفة وفضائلها المنيفة، كما جاءت في القرآن المجيد والسنة الشريفة



«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» صحيح مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم الله ماله ودمه وحسابه على الله» صحيح مسلم.

قال العلماء: إذا قال الكافر: لا إله إلا الله فقد شرع في العاصم لدمه، فيجب الكف عنه، فإن تم ذلك تحققت العصمة وإلا بطلت، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد قال كل حديث في وقت، فقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ليعلم المسلمون أن الكافر المحارب إذا قالها كُف عنه، وصار دمه وماله معصومين، يشهد لذلك حديث أسامة بن زيد قال: بعثنا النبي صلى الله عليه وسلم في سرية فصَبَحْنَا الحِرَقَات من جهينة، فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله فطعنته فوق وقع في نفسي من ذلك (يعني وقع شك؛ لأن الرجل استجار بكلمة لا إله إلا الله، ومع ذلك طعنه فقتله)، فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟ قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفاً من السلاح. قال: أفلا شققت

عن صدره حتى تعلم أقالها أم لا؟ فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ». رواه مسلم. ثم إنه صلى الله عليه وسلم بين في الحديث الآخر أن القتال ممدود إلى غاية، إلى الشهادتين والعبادتين، ففي الروايات الأخرى يقول: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. زاد فيها: وقيموا

قال النووي رحمه الله: ولا بد مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، كما جاء في الرواية الأخرى: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به». هذه صيغة عموم.

قال الشيخ رشيد رضا: «التحقيق أن المراد بالحديثين واحد، وهو الدخول في الإسلام، ومفتاح الدخول في الإسلام من المشركين النطق بكلمة التوحيد، فهو يعصم صاحبه في المعركة؛ وأما الكفار القائلون لا إله إلا الله فلا بد من نطق أحدهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وذكر الصلاة والزكاة في الحديث الآخر يراى به قبول شرائع الإسلام، وركنها الديني المحض الأعظم الصلاة، وركنها المالي الزكاة. فمن دان بهما دان بغيرهما».

٤- أعظم نعمة على المهديين إليها:

ففي سورة «النحل» [سورة النعم] عند ذكر النعم بدأ بأعظم نعمة على الخلق «مَنْزِلَ الْمَلَكَةِ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَيَّ مَنْ نِسَاءً مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» [النحل: ٢]. فقدم ذكرها قبل كل نعمة، فدل ذلك على أن التوفيق لهذه الكلمة هو أعظم نعم الله تعالى التي أسبغها على عباده، كما قال الله تعالى: «وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَكُفً» [لقمان: ٢٠]. قال مجاهد: «هي لا إله إلا الله»، وقال سفيان بن عيينة: ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفه لا إله إلا الله.

فالقرآن كله في حق لا إله إلا الله. لذلك قال الله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ»، فهي الوحي كله.

٥- كلمة الشهادة: قال تعالى: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [آل عمران: ١٨].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكثروا من شهادة لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها،



التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَاتَ اللَّهُ يَكْلُ
مَنْ عَلِيمًا» [الفتح: ٢٦].

روى أبو إسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون قال: ما تكلم الناس بشيء أفضل من لا إله إلا الله، فقال سعد بن عياض: أتدري ما هي يا أبا عبد الله، هي والله كلمة التقوى ألزمها الله أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا أحق بها وأهلها رضي الله عنهم أجمعين.

فلا إله إلا الله هي كلمة التقوى، لأن صاحبها يتقي أن يصف ربه بما وصفه به المشركون، وأيضا هي واقية لبدنك من السيف، ولمالك من الاستغنام، ولذمتك من الجزية، ولأولادك من السبي، فإذا انضاف القلب إلى اللسان صارت واقية لقلبك عن الكفر، وإذا انضم التوفيق صارت واقية لك من المعاصي.

١٠- الكلمة الباقية: (وهي التي جعلها إبراهيم في عقبه) كما قال تعالى: «وَلَا قَالَ يُبْرِئُهُم لَأَبِيهِمْ وَقَوْمِهِ أَنِّي أَبْرَأُ مِنْهُمْ مَتَى تَعْبُدُونَ ۖ إِنِّي أَخْلَقْتُ قَوْمِي فَإِنَّهُ سَهِيدٌ ۖ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِمْ لَعَلَّهُمْ يُرجِعُونَ» [الزخرف: ٢٦].

ومعنى الكلمة الباقية: أن التوحيد باق لا يزول بالمعصية؛ لأن المعصية تنقص الإيمان فهي تقدح في كمال الإيمان، ولكنها لا تحبط أصله، فالمعصية تزول بفضل الله بسبب التوحيد ولا يزول التوحيد بها، فما أعظمها من كلمة.

١١- وهي المثل الأعلى: قال الله تعالى: «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [الروم: ٢٧] يعني: الوصف الكامل، فأعظم وصف وُصف الله به هو لا إله إلا الله، والذي يدل على ذلك أنها جاءت في صدر أعظم آية وهي آية الكرسي: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي الْقِيَوْمُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» [البقرة: ٢٥٥]، قال قتادة: «المثل الأعلى»

هو قول لا إله إلا الله.

فاللهم أحيانا عليها، وأمتنا عليها، واحشرنا عليها، ولا تحرمنا من البركات المكنوزة لديها، إنك يا مولانا جواد كريم، وأخ دعانا أنت الحمد لله رب العالمين.

الآية «إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» [مريم: ٨٧]، ثم قال: اتخذوا عند الله عهداً، فإن الله تعالى يقول يوم القيامة: من كان له عند الله عهد فليقيم، قالوا: يا أبا عبد الرحمن فعلمنا، «يعني ما الذي تقصده» قال قولوا: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك إن تكلمي إلى عملي يقربني من الشر، ويباعدني من الخير، وإني لا أنق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهداً تؤديه إلى يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد، بمعنى أنك تتبرأ من الحول والقوة ولا تتكل على عملك، بل تضع كل ثقتك في رحمة الله عز وجل بك. وكان ابن مسعود يلحق بهن «خائفا مستجبرا مستغفرا راهبا راغبا إليك»، يعني هذا حالي وأنا أعاهدك على هذا العهد.

٧- كلمة الصدق قال الله تعالى: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» [الزمر: ٣٣]، وهي كلمة الصدق؛ لأنها الكلمة التي يُصدق قائلها، إذا قالها العبد يصدقه الرب، كما جاء في الحديث الذي رواه النسائي والترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قال العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر، صدقه ربه وقال: لا إله إلا أنا وحدي، وأنا أكبر، وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال الله: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، قال الله: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله: لا إله إلا أنا وحدي ولا حول ولا قوة إلا بي»، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار. وفي رواية: «من رزقهن عند موته لم تمسه النار» [صحيح ابن ماجه ح ٣٠٧٦]. وهذا

٨- مقاليد السماوات والأرض:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مقاليد السماوات والأرض: هو قول لا إله إلا الله، والمقاليد المفاتيح بها تفتح أبواب السماء عند الدعاء، وأبواب الجنان لا تفتح إلا بها، وأبواب النيران لا تغلق إلا بها، وباب القلب لا يفتح إلا بها، وأنواع الوسواس لا تندفع إلا بها، فالمقاليد المفاتيح.

٩- كلمة التقوى: وهي التي ألزمها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: «إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ

الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،
فقد أقام الله سبحانه السموات والأرض على العدل وألزم
الحكام إذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، ولذا كانت
مهمة القضاة من أخطر المهام ومن أشدها، ولذلك كان السلف
الصالح يفرون منها ويتركونها لغيرهم؛ خشية من عاقبتها
ومغبتها عند الله عز وجل.

أخرج أبو داود بسنده عن ابن بريدة، عن أبيه، عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال: «الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ
فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ
عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ
الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ،
وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ
فِي النَّارِ». (ح ٣٥٧٣).

هذا الحديث له روايات متعددة
فيها تقديم وتأخير وتغيير في
بعض الألفاظ، لكنها تؤدي إلى معانٍ
واحدة.

القضاة ثلاثة:، أي ثلاثة أنواع؛

«فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق
فقضى به». جاء باداة التفصيل «فأما»
بعد الذي في الجنة، ولم يأت بها بعد
الذي في النار؛ لئلا يسلكا في سلك واحد
«يعني يأتیان في سياق واحد» لبعد ما
بينهما.

«ورجل عرف الحق فجار في الحكم»
والتقدير فأما الذي في النار، وذلك كما
في قوله تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رِيبٌ مِمَّنْ يَمُنُّونَ
مَا تَشَاءُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ. وَمَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ. كُلٌّ
مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» [آل عمران: ٧]، أي فأما الراسخون
فيقولون - وهو من فصيح الكلام وبلغه.
ومع أن معرفة الحق سبب للقضاء بالحق،
إلا أن هذا النوع من القضاة، عكس وجعله
سبباً للجور، كقوله تعالى: «وَيَحْمِلُونَ رِزْقَكُمْ
أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ» [الواقعة: ٨٢]. أي تجعلون شكر
رزقكم التكذيب، وهو موجب للتصديق.

«فهو في النار»: خبر لـ «ورجل».

«ورجل قضى للناس على جهل»: أي جاهلاً. وهذا استحق
النار؛ لأنه تجرأ على هذا العمل العظيم (القضاء) بلا علم، لا

تحذير النبي

صلى الله عليه

وسلم للقضاة

متولي البراجيلي

إعداد

لسبب جوره في الحكم. (مرقاة المفاتيح للقاري ٢٤٢٦-٢٤٢٧، سبل السلام للصنعاني ٥٦٥/٢، بتصرف).

فبين الحديث أنه لا بد من توفر شرطين في القاضي: الشرط الأول: العلم، في قوله صلى الله عليه وسلم: «رجل عرف الحق». الشرط الثاني: العمل بهذا العلم، في قوله صلى الله عليه وسلم: «فقضى به».

فهذا جمع بين القوة والأمانة، القوة في علمه، والأمانة في العمل بما علم، وهذا قليل في الناس، فهو إما قوي عنده علم، لكنه لا يعمل به، فهو غير أمين، أو ليس عنده علم وإن كان آميناً.

لذا كان عمر رضي الله عنه يقول: «اللهم أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة!!»

وأما القاضيان اللذان في النار، فالأول حقق الشرط الأول وهو العلم، ولم يحقق الشرط الثاني وهو القضاء به، والثاني لم يحقق الشرط الأول، وانتفى عنه الشرط الثاني من غير قصد منه؛ وذلك لجهله. فالحديث دليل على أنه لا ينجو من النار من القضية إلا من عرف الحق وعمل به، والعمدة العمل، فإن من عرف الحق ولم يعمل به، فهو كمن حكم بجهل سواء في النار.

من آداب القاضي:

قال علي رضي الله عنه: لا ينبغي للقاضي أن يكون قاضياً حتى تجتمع فيه خمس خصال: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، مستشير لذوي الألباب، لا يخاف في الله لومة لائم. وروى الشعبي عن مسروق، قال: لأن أقضي يوماً واحداً بحق وعدل أحب إلي من أن أغزو سنة في سبيل الله.

من شروط القاضي:

لا يجوز لغير المجتهد أن يتقلد القضاء، والمجتهد من جمع خمسة علوم: علم كتاب الله، وعلم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقوال السلف وإجماعهم واختلافهم، وعلم اللغة، وعلم أصول الفقه. ويشترط الفقهاء لصحة تولية القاضي شروطاً معينة؛ أن يكون مسلماً عاقلاً، بالغاً، حراً، عدلاً، فطناً ذكياً، سليم الحواس.

ويشترط الجمهور الذكورة لتولية القضاء وذلك لحديث أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة». [البخاري].

ولأن القاضي يحضر محافل الخصوم والجدل،

ويحتاج فيه إلى كمال الرأي ومشاورة العلماء، والنساء لسن أهلاً لذلك، وقد نبه الله تعالى إلى نسيانهم بقوله: «أَنْ تَصِلَ إِلَهُمَا فَتُحَرِّمَ عَلَيْهِمَا الْكُنَى» [البقرة: ٢٨٢].

وجوز أبو حنيفة توليها قضاء الأموال، ويرى الطبري جواز تقلد المرأة للقضاء مطلقاً. [انظر الموسوعة الفقهية ٢٩١/٣٣ - ٢٩٤].

قال محمد بن حريث: بلغني أن نصر بن علي أرادوه على القضاء بالبصرة، واجتمع الناس إليه فكان لا يجيبهم، فلما ألحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره، وألقى ملاءته على وجهه، وقال: اللهم إن كنت تعلم أنني لهذا كاره فاقبضني إليك. فقبض. [التذكرة الحمدونية (ج ١/ص ٣٣٦)].

وقال منصور بن المعتمر لابن هبيرة حين أراده على القضاء: ما كنت لألي بعدما حدثني إبراهيم. قال: وما حدثك؟ قال: حدثني عن علقمة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشياء الظلمة حتى من يرى لهم قلماً أو لاق لهم دواة، فيجتمعون في تابوت حديد ثم يلقي بهم في جهنم. [التذكرة الحمدونية (ج ١/ص ٣٣٨)].

أهمية وظيفة القضاء:

ولي الأمر والقاضي منوط بهما إقامة العدل في الأرض؛ لإيصال الحقوق إلى أهلها، ورد المظالم، ويستوي أمام العدالة الكبير والصغير، والحاكم والمحكوم.

قال الله تعالى: «يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» [ص: ٢٦].

ورضى الله عن أبي بكر عندما تولى الخلافة فقال: «إن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى أخذ منه الحق».

حكم تولي القضاء:

تولي القضاء تعترية الأحكام الخمسة: فيكون واجباً: إن كان من يتولاه أهلاً للقضاء دون غيره؛ لانفراده بشروطه، فحينئذ يفترض عليه التقصد؛ صيانة لحقوق العباد وإخلاء للعالم عن الفساد، ولأن القضاء فرض كفاية، ولا يوجد سواه يقدر على القيام به، فتعين عليه، كفسل الميت وتكفينه، وسائر فروض الكفايات.

ويكون مندوباً (مستحباً): لصاحب علم خفي

سليمان في حكم داود عليه السلام في أصحاب
الحرث. [فتح الباري ٣/٣١٩].

فلا شك أن الحق واحد بدليل قوله تعالى:
«فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ»، ولم يذم الله تعالى حكم
داود عليه السلام، «وَكَلَّا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا»؛
لأنه مستوف لأدوات الاجتهاد، فهو نبي، وبذل
وسعه في الحكم، وحكم بما غلب على ظنه.

فوائد الحديث:

١- في الحديث إنذار عظيم للقضاة التاركين
للعدل.

٢- وفيه تحذير شديد للجاهل عن الدخول في
منصب القضاء.

٣- وفيه استوعاء عقوبة الجاهل المتقحم لما
لا يحسنه، والعالم الجائر الحائد عن الحق
والعدل.

٤- وفيه أنه لا يُعذر بالجهل في كل الأمور.
٥- وفيه أن العلم قد يكون وبالا على صاحبه
إن لم يصاحبه عمل.

٦- وفيه أن النيات الحسنة وحدها ليست
كافية للنجاة، في مثل القاضي الجاهل الذي لم
يتسلح بعدة ما يتولاه.

٧- وفي الحديث عظم أجر القاضي الذي علم
بما يحكم فيه، ثم عدل في الحكم فماله الجنة.

٨- وفيه توجيه لولي الأمر أن يُحسن اختيار
القضاة.

٩- وفي الحديث ضرورة مراقبة أعمال القضاة
وأحكامهم، فلا عصمة لأحد إلا الأنبياء عليهم
السلام، وكل ابن آدم خطأ، فدعوى أنه لا رقابة
ولا سلطة على القاضي، دعوى خاطئة، مغبتها
وعواقبها عظيمة، كذلك قولهم: لا تعليق على
أحكام القضاء، وأن القضاء خطر أحمر، كلها

تعبيرات عصرية لا أصل لها وما أنزل الله بها
من سلطان، بل هي مصادمة لطبيعة البشر في
أن كل ابن آدم خطأ، وكل يؤخذ من قوله ويُرد،
إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٠- وفي الحديث قيام النبي صلى الله عليه وسلم
بواجب النصح لأمته على العموم،
وللقضاة على الخصوص.

١١- وفيه الجمع بين الوعد والوعيد، وهو
الأسلوب القرآني المؤثر في النفس البشرية.

١٢- وأخيراً: ففي الحديث أن الشرع شامل
ومستوعب لكل دقائق الحياة وتفصيلاتها.

والحمد لله رب العالمين.

لا يعرفه الناس، ووُجدت فيه شروط القاضي،
وذلك ليُشهر علمه للناس فيُنتفع به.

- ويكون حراماً: لفاقد أهلية القضاء، ولأن من
لا يحسنه لا يقدر على العدل فيه، فيأخذ الحق
من مستحقه فيدفعه إلى غيره.

- ويكون مكروهاً: لمن يخاف العجز عنه، ولا
يأمن على نفسه الحيف فيه، ولم يتعين عليه
توليه.

وكره بعضهم الدخول فيه مختاراً للأحاديث
التي وردت للتحذير منه.

- ويكون مباحاً: للعدل المجتهد الصالح للقضاء
الذي يثق بنفسه أن يؤدي فرضه، ولا يتعين
عليه لوجود غيره مثله. [الموسوعة الفقهية
بتصرف ١٤/١٩١].

التحذير من تولي القضاء:

لقد كان فضلاء العلماء يحذرون من القضاء،
ويفرون منه فراراً، ولا يتولاه أحد منهم إلا
مضطراً إذا تعين عليه.

وذلك للأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله
عليه وسلم للتحذير منه، كحديث بريدة الذي بين
أيدينا، وغيره من الأحاديث، كحديث أبي هريرة
رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «من جعل قاضياً بين الناس فقد ذبح بغير
سكين». [صحيح سنن الترمذي وغيره].

قال المظهر: خطر القضاء كثير وضرره عظيم؛
لأنه قلما عدل القاضي بين الخصمين، لأن النفس
مائلة إلى من يحبه أو يخدمه أو من له منصب
يتوقى جاهه أو يخاف سلطانه، وربما يميل إلى
قبول الرشوة وهو الداء العضال. [مرقاة المفاتيح
٦/٢٤٢٦].

التعلل بأن المجتهد مأجور على كل حال:

وذلك لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا
حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم
فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد». [متفق عليه].

والمجتهد المخطئ في الحديث، هو من استكمل
شروط الاجتهاد وتحترى المسألة باذلاً فيها
وسعه، ثم حكم بما غلب على ظنه.

قال ابن المنذر: وإنما يؤجر الحاكم إذا أخطأ
إذا كان عالماً بالاجتهاد فاجتهد، وأما إذا لم
يكن عالماً فلا، واستدل بحديث القضاة الثلاثة.

ويقول الحافظ ابن حجر: ويؤيد حديث الباب
«حديث عبد الله بن عمرو» ما وقع في قصة

الشبهة الحادية والعشرون:

وهناك سؤال آخر.. إذا لم يكن تشريع الإسلام مصدر حد الرجم فمن أين جاء؟ هنا ننقل عن البخاري من باب المناقب حديث رقم ٣٥٦٠ يقول: «حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قردة قد زنت فرجموها فرجمتها معهم» أي أن مجتمع القردة في الجاهلية كانت له الأسبقية في تطبيق حد الرجم!! فعندما تقابلون ربكم ويسالكم لماذا رجمتم الزناة ولم تطبقوا عليهم حد الجلد، فقولوا له: أخذنا ذلك من القردة.

الرد على هذه الشبهة:

ويُرد عليها من عدة أوجه:
الوجه الأول: ما ذكره الشيخ أبو عبد العزيز سعود الزمانان في رده على الشبهة المثارة حول رواية «قردة في الجاهلية زنت فرجمت» من موقع صيد الفوائد، حيث قال حفظه الله:

نص الأثر:

روى الإمام البخاري في «صحيحه» (٣٨٤٩)، كتاب مناقب الأنصار، باب القسامة في الجاهلية حَدَّثَنَا نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قِرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قِرْدَةٌ، قَدْ زَنَتْ، فَرَجَمُوهَا، فَرَجَمَتْهَا مَعَهُمْ».

الرد:

أولاً: هذا الحديث ليس على شرط الإمام البخاري، فصحيح البخاري سماه: «الجامع المختصر المستند الصحيح من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه»، فالخبر ليس مستنداً للرسول فهو ليس على شرط البخاري - رحمه الله -، فالأحاديث الموقوفة، وهي الأحاديث التي تُروى عن الصحابة، ولا يتم رفعها للنبي - صلى الله عليه وسلم -، والتي يسميها بعض أهل العلم «الآثار» هي ليست كذلك على شرط البخاري - رحمه الله -.

فعمر بن ميمون كما قال الإمام القرطبي - رحمه الله - يعد من كبار التابعين من الكوفيين [تفسير القرطبي (٤٤٢/١) تفسير سورة البقرة الآية ٦٥].

ثانياً: البخاري - رحمه الله - لما ذكر هذا الأثر الذي ليس على شرطه، إنما أراد الإشارة إلى فائدة، والتأكيد على أن عمرو بن ميمون قد أدرك الجاهلية، ولم يبال البخاري بظن عمرو الذي ظنه في الجاهلية، بأن القردة قد زنت

وقفات شرعية مع تطبيق

الشريعة الإسلامية

الشبهات

المثارة على

حد الرجم

الحلقة الثانية عشرة

إعداد / المستشار / أحمد السيد علي

الحمد لله حمداً لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُعبد، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه، أما بعد: فما يزال الحديث موصولاً عن وقفات شرعية مع تطبيق الشريعة الإسلامية، وما يزال الرد على الشبهات المثارة حول حد الرجم.

وهذه شبهة أخرى من شبهاتهم وقد من الله علينا وفندنا كثيراً منها في الحلقات السابقة، وظهر جلياً أنها أوهى من بيت العنكبوت، وأنها لم تصمد أمام الصحيح الصريح من المنقول (من الكتاب والسنة) أو المعقول.

وثقة العجلي وابن حبان، وروايته مفصلة تبعد النكارة الظاهرة من رواية نعيم المختصرة، وقد مال الحافظ إلى تقويتها خلافاً لابن عبد البر، والله أعلم . [مختصر صحيح البخاري للألباني (٥٣٦/٢) - ٥٣٥] .

عاشراً: لو اقترضنا صحة الخبر، فإن الراوي أخبر عما رأى في وقت جاهليته، فإنه لا حرج من القول بأن هذا ما ظنه لأسيما أنه في رواية رأى قرداً وقردة مع بعضهما فجاء قرد آخر، وأخذها منه فاجتمع عليها القردة الآخرون ورجموها .

فهذه صورة الحكاية ظنها الراوي رجماً للزنى، وهو لم يأخذ هذا حكاية عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وليست كذلك الراوي لها أحد أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ولو أخبر بها النبي - صلى الله عليه وسلم -، وصح السند عنه قبلنا، فإننا صدقناه فيما هو أعظم من ذلك .

الوجه الثاني: أن مصدر حد الرجم أخذناه من الكتاب والسنة، ولم نأخذه من القردة، فمن الكتاب قوله تعالى: (وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَجْشَةُ مِنْ نِسَائِكَمْ فَأَسْتَبْدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً نِسَاءً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَوَفَّقَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) [النساء ١٥] وقد جعل الله لهن سبيلاً بتشريع حد الجلد والرجم؛ قال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا بِاَلْعَصَا أَرْبَعَةً جَلَدًا) [النور: ٢]، ومن السنة ما رواه عبادة بن الصامت قال: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا الْبُكَرُ بِالْبُكَرِ جُلْدٌ مِائَةٌ وَنَفْيٌ سَنَةً وَالنَّثَبُ بِالنَّثَبِ جُلْدٌ مِائَةٌ وَالرَّجْمُ» رواه مسلم . فقد أكدت السنة أن الرجم من السبيل الذي جعله الله حداً لمن زنى وهو محصن . ومن ثم يتضح جهل هؤلاء المستهزين بشرع الله .

الوجه الثالث: أن هؤلاء المدلسين أمرهم مفضوح، وليس لديهم منهج ثابت للبحث العلمي، وإنما يأخذون ما يوافق هواهم، ويدعون ما لا يوافقه، وليس أدل على ذلك من أنهم وصموا جميع الأحاديث التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك الآثار التي جاءت عن صحابته بتشريع حد الرجم، بالضعف والوضع، حتى ولو جاءت في البخاري ومسلم أصح الكتب بعد كتاب الله، ثم يحتجون الآن بحديث عمرو بن ميمون السابق في صحيح البخاري، فهم يكذبون البخاري ومسلم ولا يحتجون بما جاء بهما إذا كان ضد مذهبهم الفاسد، ويسارعون بالاحتجاج بما جاء بهما إذا كان سيدعم هذا المذهب، وهو ما يدل على فساد مذهبهم، وأن حججهم داحضة .

اللهم انصر دينك وكتابك وعبادك الصالحين، واثن لشريعتك أن تحكم ولكتابك أن يسود، وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين .

فرجموها بسبب الرجم .

ثالثاً: الخبر استنكره الإمام ابن عبد البر - رحمه الله - قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: « وَقَدْ اسْتَنَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ قِصَّةَ عَمْرٍو بْنِ مَيْمُونٍ هَذِهِ وَقَالَ: « فِيهَا إِضَافَةُ الزِّنَا إِلَى غَيْرِ مُكْلَفٍ، وَإِقَامَةُ الْحَدِّ عَلَى الْبَهَائِمِ وَهَذَا مُنْكَرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ » . [فتح الباري لابن حجر ١٩٧/٧، الطبعة السلفية] .

رابعاً: استنكر الخبر الإمام الألباني - رحمه الله - فقال: « هذا أثر منكّر، إذ كيف يمكن لإنسان أن يعلم أن القردة تتزوج، وأن من خلقهم المحافظة على العرض، فمن خان قتلوه؟! ثم هب أن ذلك أمر واقع بينها، فمن أين علم عمرو بن ميمون أن رجم القردة إنما كان لأنها زنت . [مختصر صحيح البخاري للألباني (٥٣٥/٢)] .

خامساً: قال الشيخ الألباني - رحمه الله -: « وأنا أظن أن الآفة من شيخ المصنف نعيم بن حماد، فإنه ضعيف متهتم، أو من عنعنة هشيم، فإنه كان مدلساً . [مختصر صحيح البخاري للألباني (٥٣٥/٢)] .

سادساً: وممن ذهب إلى تضعيف الأثر محقق سيرة أعلام النبلاء (١٥٩/٤) فقد قال في الحاشية: « ونعيم بن حماد كثير الخطأ، وهشيم مدلس وقد عنعن .

سابعاً: فالخبر ضعيف في سنده نعيم بن حماد، من رجال مغلطات البخاري لا من أسانيد، روى عنه البخاري مقروناً بغيره في الأحاديث أرقام (٣٩٣-٤٣٣٩-٧١٣٩)، ولم يقرنه بغيره إلا في هذا الحديث المقطوع الذي ليس على شرطه - رحمه الله - حديث رقم (٣٨٤٩) . ونعيم بن حماد قال عنه الحافظ في « التقریب »: « صدوق يخطئ كثيراً »، وقال النسائي: « ضعيف »، وذكره ابن حبان في « الثقات » وقال: « ربما أخطأ وهم » . [تهذيب الكمال (٤٧٦/٢٩)] .

ثامناً: وكذلك الخبر ضعيف لأن في سنده هشيم بن بشير الواسطي، وهو كثير التدليس، وجعله الحافظ في المرتبة الثالثة في طبقاته، وهم ممن لا يحتاج بحديثهم إلا بما صرحوا به السماع، قلت: ولم يصرح بالسماع في هذا الخبر .

تاسعاً: مال الشيخ الألباني إلى تقوية هذا الأثر مختصراً دون وجود النكارة أن القردة قد زنت وأنها رُجمت بسبب الزنا فقال - رحمه الله -: « لكن ذكر ابن عبد البر في « الاستيعاب » (١٢٠٥/٣) أنه رواه عباد بن العوام أيضاً، عن حصين، كما رواه هشيم مختصراً .

قلت: (القائل الألباني) وعباد هذا ثقة من رجال الشيخين، وتابعه عيسى بن حطان، عن عمرو بن ميمون به مطولاً، أخرجه الإسماعيلي، وعيسى هذا

الرئيس مرسي يلتقي الرئيس العام ضمن وفد الدعاة والعلماء

جمال سعد حاتم

كتب /

استكمالاً ومتابعة للقاءات التي يعقدها الرئيس محمد مرسي مع القوى المجتمعية والسياسية، والتي تشمل كل أطراف المجتمع للخروج برؤى مشتركة لكل ما تمر به البلاد في الظروف الراهنة، التقى الرئيس بكوكبة من العلماء والدعاة، كان من بينهم الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية.

وقد شرح الرئيس د. محمد مرسي للعلماء والدعاة المستجدات على الساحة الداخلية، وخصوصاً ما يتعلق بالأوضاع الاقتصادية، وقد طمأن الرئيس العلماء والمشايخ على أن الأوضاع الاقتصادية في تحسن، وتنتظر تحسناً أكبر مع زيادة حالة الاستقرار الأمني، وازدياد الثقة في الاقتصاد المصري. كما تحدث الرئيس عن الأوضاع الأمنية، مؤكداً أنه قد طرأ تحسن كبير عليها في الآونة الأخيرة، وخاصة في سيناء، مقللاً من تهويلات وسائل الإعلام المغرضة.

طلب الرئيس مرسي من العلماء العمل على نشر الدعوة الصحيحة الدعوية في سيناء وفي أنحاء مصر؛ عملاً على نشر المفاهيم الصحيحة والدعوة الوسطية بعيداً عن التشدد والعنف والأفكار المنحرفة.

كما استمع الرئيس محمد مرسي من المشايخ والعلماء إلى وجهات نظرهم حول كل ما تم طرحه ومناقشته، وإلى آرائهم حول ما طرح من مسودة الدستور.

وقد حضر اللقاء علماء ودعاة من كافة التيارات، حيث ضم علماء من أنصار السنة، والجمعية الشرعية، والدعوة السلفية، والجماعة الإسلامية، والهيئة الشرعية، والإخوان المسلمين، وعلماء ومشايخ آخرين.

وقد حضر اللقاء مع فضيلة الرئيس العام الدكتور عبد الله شاکر، فضيلة الشيخ أبو إسحاق الحويني، والشيخ محمد حسان، والدكتور نصر فريد واصل، والدكتور محمد المختار محمد المهدي، والدكتور محمد عبد المقصود، والدكتور ياسر برهامي، والدكتور محمد يسري، والدكتور صفوت عبد الغني، والشيخ فوزي السعيد، والشيخ نشأت أحمد، والدكتور عصام درباله، والدكتور سعيد عبد العظيم، والدكتور راغب السرجاني، والدكتور عبد الرحمن البر، والدكتور محمود حسين، والمهندس أيمن عبد الغني، والدكتور صفوت حجازي.

وقد أم الرئيس مرسي العلماء والدعاة في صلاتي العصر والمغرب في اللقاء الذي جرى بينهما في قصر الاتحادية بمصر الجديدة.

وقد تم الاتفاق على استمرار التشاور والتناصح حرصاً على مصلحة مصر والأمة.

والله ولي التوفيق.

من حكمة الشعر

قال يحيى بن معين في «تحري الحلال»:
المال يذهب حله وحرامه
يوماً وتبقى في غد آثامه
ليس التقى بمتقٍ لإلهه
حتى يطيب شرابه وطعامه

أدبيات

قال رجل لرجل: بأي وجه تلقاني. وقد

فعلت كذا وكذا؟ قال: بالوجه الذي ألقى به ربي عز
وجل. وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك.
[الأذكىء لابن الجوزي].



من نور كتاب الله عز وجل

الثقة واليقين برب العالمين

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه

السلام: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهوَ يَهْدِينِ) ٧٦ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي

وَيَسْقِينِي ٧٧ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ٨٠ وَالَّذِي

يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي ٨١ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي

يَوْمَ الْوَعْدِ (سورة الشعراء: ٧٨-٨٢).

تقوا
الاسماء

عن نافع: أن رجلاً قال لابن عمر: يا
خير الناس، أو ابن خير الناس، فقال:
ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس،
ولكن عبد من عباد الله، أرجو الله وأخافه،
والله لا تزالون بالرجل حتى تهلكوه.
[أبو نعيم في الحلية].

من الأمور التي أنكرها الصحابة

مر ابن عمر -رضي الله عنهما- برجل من أهل العراق ساقطاً والناس حوله، فقال ما هذا؟
فقالوا: إذا قرئ عليه القرآن أو سمع الله يُذكر، خَرَّ من خشية الله. قال ابن عمر: والله إنا لنخشى
الله، ولا نسقط. [كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد].

فصل صيام عاشوراء

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم
عاشوراء؟ فقال: «يكفر السنة الماضية» [صحيح
مسلم].

فصل شهر المحرم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة
الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر
رمضان شهر الله المحرم». [صحيح مسلم].



من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

القناعة راحة القلوب

عَنْ أَبِي الْوَرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِحَبْنَتَيْهَا مَلَكَانِ يَتَذَكَّرَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ، فَإِنَّ مَا قُلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَى. [أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيحَةِ ١/ ٧٢٧].



من دلائل النبوة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء

أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بما أعرف أنك نبي؟ قال: «إن دعوت هذا العنق من هذه النخلة يشهد أنني رسول الله، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أرجع فعاد، فأسلم الأعرابي. [الترمذي وصححه الألباني].

من جوامع الدعاء

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أخذ مضجعه: «الحمد لله الذي كفاني وآواني، وأطعمني وسقاني، والذي منّ عليّ فأفضل، والذي أعطاني فأجزل، الحمد لله على كل حال، اللهم رب كل شيء ومليكه وإله كل شيء أعوذ بك من النار» [أبو داود وصححه الألباني].

عن عقبة بن الحارث قال:

صلى أبو بكر العصر، ثم خرج يمشي، ومعه عليّ، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه، وقال: «بابي شبيهه بالنبي، ليس شبيهها بعليّ»، وعليّ يضحك. [صحيح البخاري].



من أمثال العرب

«لا يدالّس ولا يؤانس»

يدالّس: من الدّلس، وهو الظلمة أي: لا يخادعك، ولا يخفي عنك الشيء، ومنه يُقال: «دلس عليّ كذا». ويؤانس: من الأّنس وهو الخيانة. [أدب الكاتب، لابن قتيبة].

من أقوال السلف

عن أنس رضي الله عنه قال: إن العبد إذا عمل بالبدعة خلاه الشيطان والعبادة والقي عليه الخشوع والبكاء. [كنز العمال].

حكم ومواعظ

قال الفضيل: «لا تخالط إلا حسن الخلق؛ فإنه لا يأتي إلا بخير، ولا تخالط سيء الخلق؛ فإنه لا يأتي إلا بشر». [كنز العمال].

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا
نبي بعده، وبعد:

فإن الرافضة هم أكذب الناس، وصدق شيخ
الإسلام قيمن يكذب عليه: إن الله خلق الكذب وجعل
تسعة أعشاره في الرافضة، ومن مظاهر هذا الكذب
افتراءهم على خير الأنام صلى الله عليه وسلم بنسبة
أحاديث مكذوبة إليه، متجاهلين تحذير رسول الله
صلى الله عليه وسلم: إذ يقول: «من كذب علي متعمداً
فليتبوا مقعده من النار» رواه البخاري.

ومن هذه الأحاديث ما وضعوه في فضائل علي
رضي الله عنه، ولاشتهار هذه الأحاديث على السنة
كثير من أهل السنة، فسنذكر بعضها مع حكم الشيخ
العلامة الألباني رحمه الله عليها في سلسلة الأحاديث
الضعيفة والموضوعة عليها.

أولاً: أحاديث ضعيفة وموضوعة في أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب رضي الله عنه
١- إن الله أوحى إلي في علي ثلاثة أشياء ليلة
أسري بي، أنه سيد المؤمنين، وإمام المتقين وقائد الغر
المحجلين. (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني،
رقم (٣٥٣).

٢- السُّبُّ ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع
بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين
والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب، (ضعيف
جدا) السلسلة الضعيفة رقم ٣٥٨ وضعيف الجامع،
رقم (٣٣٣٤).

٣- علي إمام البررة، وقاتل الفجرة، منصور
من نصره ومخذول من خذله، (موضوع) السلسلة
الضعيفة للألباني، رقم (٣٥٧) وضعيف الجامع
(٣٧٧٩٩).

٤- لمبارزة علي بن أبي طالب لعمر بن عبد
ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم
القيامة، (كذب) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٠٠).

٥- إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه
يحبهم، قيل: يا رسول الله من هم؟ (وفي رواية
سمهم لنا) قال: علي منهم يقول ذلك ثلاثاً، وأبو
ذر وسلمان والمقداد، أمرني بحبهم وأخبرني أنه
يحبهم، (ضعيف) السلسلة الضعيفة للألباني
برقمي (١٥٤٩، ٣١٢٨)، وضعيف الجامع (١٥٦٦)،
 وضعيف سنن الترمذي (٧٧١)، وضعيف سنن ابن
ماجة (٢٨)، المشكاة (٦٢٤٩).

٦- أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم
فليأت بابها، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم
(٢٩٥٥).

٧- أنا عبد الله وأخو رسول الله وأنا الصديق
الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب، صليت قبل الناس لسبع
سنين، (باطل) ضعيف سنن ابن ماجه، برقم (٢٣).

كذب

الرافضة

في فضائل

علي رضي

الله عنه



إعداد / أسامة سليمان

٨- علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض، (ضعيف) ضعيف الجامع برقم (٣٨٠٢).

٩- يا أنس: انطلق فادع لي سيد العرب - يعني علياً - فقالت عائشة: الست سيد العرب قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب، يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعده؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: هذا علي فاحبوه بحبي وأكرموه لكرامتي، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل. (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٨٩٠).

١٠- أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٨٩١).

١١- لما أسري بي رأيت في ساق العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، صفوتي من خلقي أيدته بعلي ونصرته، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٠٢).

١٢- من أراد أن ينظر إلى آدم في عمله، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى في زهده، وإلى موسى في بطشه فلينظر إلى علي، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٠٣).

١٣- نزلت هذه الآية (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) يوم غدیر خم في علي، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٢٢).

١٤- لما نصب رسول الله علياً بغدير خم، فنأدي له بالولاية هبط جبريل بهذه الآية (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكَ دِينَكَ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكَ نِعْمَتِي)، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٢٣).

١٥- هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا يعني: علياً، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٣٢).

١٦- أنشدكم الله: هل فيكم أحد أخى رسول الله بينه وبينه - إذ أخى بين المسلمين - غيري؟ قالوا: اللهم لا، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٤٩).

١٧- لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، (مكذوب) على علي. [منهاج السنة (٧٠/٥)].

١٨- حب علي حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة، (مكذوب) على علي. [منهاج السنة (٧٣/٥)].

١٩- أنا دار الحكمة وعلي بابها. رواه الترمذي وأبو نعيم سكت عن قول الترمذي: هذا حديث غريب منكر. ولا نعرف هذا الحديث عن واحد من الثقات عن شريك حديث، رقم (٣٧٢٣)، وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٧٧).

وحكم ابن الجوزي بأنه مكذوب (الموضوعات ٣٤٩/١).

٢٠- أنت يا علي وشيعتك (أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ) فيه أبو الجارود: زياد بن المنذر الكوفي، قال عنه الحافظ بن حجر: رافضي كذبه يحيى بن معين (التقريب ٢١٠١).

٢١- يخ بك يا علي، أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة. فيه علي بن زيد بن جدعان، قال عنه الجوزجاني: واهي الحديث ضعيف. [الشجرة في أحوال الرجال، ص (١٩٤)].

قال ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/ ٢٢٦): هذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به. ومن فوقه إلى أبي هريرة ضعفاء. وقال البزار: تكلم فيه جماعة من أهل العلم (كشف الاستار ٤٩٠) وقال الدارقطني: ليس بالقوي. سنن الدارقطني (١/ ١٠٣).

٢٢- علي أخي في الدنيا والآخرة. ضعيف (انظر ضعيف الجامع للآلباني ٣٨٠١).

٢٣- علي خير البشر فمن أبي فقد كفر. موضوع: قال الحافظ بن حجر: أخرجه ابن عدي من طرق كلها ضعيفة، تسديد القوس (٣/ ٨٩). قال الذهبي: هذا حديث منكر. ووصف الذهبي هذا الحديث بأنه باطل جلي (ميزان الاعتدال ١/ ٥٢١) وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٤٨).

٢٤- من أحب أن يحيا حياتي ويموت موتتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي عز وجل وغرس قضبانها بيديه، فليتل علي بن أبي طالب. صححه الحاكم (٣/ ١٢٨) وتعبه الذهبي بقوله فيه القاسم متروك وشيخه ضعيف، وهو: يحيى بن العلي الأسلمي. قال الحافظ في التقريب (٧٧٧): شيعي ضعيف. لكنه أخطأ في ذكر اسم الأسلمي فسماه المحاربي واستغل عبد الحسين في المراجعات ذلك أبشع استغلال.

٢٥- ما صب الله في صدري شيئاً إلا صببته في صدر علي. حديث موضوع (الموضوعات ١/ ١٣١)، أسس الطالب (١٢٦٢).

٢٦- محب محبي ومحبي محب الله، ومبغضك مبغضي ومبغضي مبغض الله. قال الحافظ: رواه ابن عدي وهو باطل. (لسان الميزان ٢/ ١٠٩).

٢٧- يا علي أبشر فإنك وأصحابك وشيعتك في الجنة، يا علي صليت العصر؟ قال: لا. قال: اللهم إنك تعلم أنه في حاجتك وحاجة رسولك فرد عليه الشمس قال: فردها عليه فصلى علي وغابت الشمس. (حديث موضوع).

نسأل الله أن يرزقنا سلامة المعتقد وصحة في الدين وعافية في البدن، والحمد لله رب العالمين.

مقدمة في فقه النوازل

الحلقة الأولى

د. محمد يسري

إعداد /

ورسوله وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، فكان يفتي عن الله بوحية المبين، وكان كما قال له أحكم الحاكمين: «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ» [ص: ٨٦] [إعلام الموقعين لابن القيم (١١/١)]. وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم كان الصحابة يرجعون إلى علمائهم، وعلى رأسهم الأربعة الخلفاء، الأئمة الحنفاء، المامور بلزوم سنتهم، واقتفاء أثرهم، وكانوا رضي الله عنهم يلتمسون الأحكام في كتاب ربهم وسنة نبيهم، لا يجاوزون ذلك، فإذا أعياهم البحث عن النص القاطع للنزاع اجتهدوا في استنباط حكم تلك الواقعة المستجدة الذي يوافق الكتاب والسنة، ولا يصادم مقاصد الشريعة الغراء، ولا ينافي قواعدها الكلية.

يقول عنهم أبو شامة رحمه الله: «فكانوا إذا نزلت بهم نازلة بحثوا عن حكم الله فيها من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وكانوا يتدافعون الفتوى، ويود أحدهم لو كفاه إياها غيره» [المؤمل للرد إلى الأمر الأول] لعبد الرحمن بن أبي شامة، ضمن مجموع «الرسائل المنيرية»: (٢٣/٢).

ومع هذا التحفظ فقد وقع منهم الاجتهاد كثيراً، ولقد أحصى ابن حزم في كتابه جوامع سير فقهاء الصحابة، فبلغ عددهم اثنين وستين ومائة؛ ما بين رجل وامرأة، المكثرون منهم سبعة هم عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأم المؤمنين عائشة بنت الصديق، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم جميعاً.

يقول ابن القيم: «وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهدون في النوازل، ويقيسون بعض الأحكام على بعض، ويعتبرون النظم بنظيره» [إعلام الموقعين لابن القيم: (٢٠٣/١)].

ولعل من أخطر النوازل التي واجهها الصحابة في أول خلافة الصديق رضي الله عنه: ردة عدد من القبائل عن الإسلام، وامتناع عدد آخر عن أداء الزكاة، وإن بقوا على الإسلام، ووقع الخلاف بين الصحابة؛ حيث ذهب كثير منهم إلى ترك قتالهم، ثم ما لبثوا أن شرح الله صدورهم لاجتهاد الصديق ومن معه في هذه النازلة.

عن ميمون بن مهران قال: «كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا ورد عليه أمر نظر في كتاب الله،

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلا يخفى أن المسلمين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كانت تجد بينهم وقائع، وتنزل بهم نوازل، فيلجأون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يلتمسون حكمها، ويطلبون هداية فيها، وكثيراً ما كان يوجه السؤال إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلا يلبث الوحي أن ينزل بجواب يشفي الصدور، كما قال تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأُفْئَةِ قُلْ فِي مَوْعِدِ الْفَأْسِ وَالْفَجْرِ» [البقرة: ١٨٩]، وقال تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْرَهُ مِنْ نَقْمِهِمَا» [البقرة: ٢١٩]، وغير ذلك من الأسئلة.

وربما جاء التعبير عن هذه المسائل بالاستفتاء كما قال تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفَصِّلُكُمْ فِيهِنَّ» [النساء: ١٢٧]، وقال تعالى: «يَسْأَلُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفَصِّلُكُمْ فِي الْكَلْبَةِ» [النساء: ١٧٦].

وربما تدخل الوحي القرآني مباشرة في واقعة مستجدة، أو نازلة حادثة، كما في مسألة الظهار التي سطرها الوحي في صدر سورة المجادلة، وهي قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا زَوَّجْتُمْ ذُرِّيَّتَكُمْ مِنْ بَنَاتِ الْأَنْفَالِ فَتُحَرِّمْنَ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَكُنَّ حِجَابَ مَا زَوَّجْتُمْ مِنْ بَنَاتِ الْأَنْفَالِ» [المجادلة: ١-٣]. وربما قضى النبي صلى الله عليه وسلم وأفتى بسنته الشريفة في مسائل ونوازل لم ينزل فيها قرآن يتلى، وهذا في السنة كثير مشتهر.

قال ابن القيم: «وأول من قام بهذا المنصب الشريف سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين عبد الله

ونحو هذا قولهم: «للإمام أن يثبت في الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة» [المغني: لابن قدامة المقدسي: (٥٨٦/٢)].

وأما على الاصطلاح الفقهي فقد عرفها ابن عابدين رحمه الله بأنها: «المسائل التي سئل عنها المشايخ المجتهدون في المذهب، ولم يجدوا فيها نصاً، فافتوا فيها تخريجاً». [رد المحتار على الدر المختار: لابن عابدين: (٣٥/١)].

وقوله: «لم يجدوا فيها نصاً» لا يعني عدم وجوده، فقد تسمى النازلة في حق شخص لجهله بحكمها، ألا ترى أنهم يقولون مثلاً: «إذا نزلت بالعامي نازلة وهو في مكان لا يجد من يسأله عن حكمها، أنه يجب عليه أن يتقي الله ما استطاع، ويتحرى الحق بجهده ومعرفة مثله» [إعلام الموقعين: لابن القيم: (٢١٩/٤)].

وهذا ما سُمي عامياً إلا لجهله بالنصوص الشرعية، ومسالك أهل العلم في استثمارها. ولعل «النص» هنا يشمل: النص الشرعي من القرآن والسنة، ونصوص الأئمة المدونة في المذهب الفقهي.

فالنازلة على وجه العموم: «هي الحادثة التي تحتاج إلى حكم شرعي» [معجم لغة الفقهاء: د. محمد رواس قلعة جي، د. حامد صادق قنيبي، (ص ٤٧١)].

فإن النوازل المستجدة تبقى مسائل تتعلق بأفعال المكلفين، ولا يوجد في خيرتنا الفقهية نص واف ببيان حكمها، فهي مفتقرة إلى استقراغ الوسع وبذل غاية الجهد في استنباط حكمها وإدراك ماخذها.

التعريف الثاني:

بناءً على ما سبق فإن «فقه النوازل» هو العلم الذي يبحث في الأحكام الشرعية للوقائع المستجدة والمسائل الحادثة، مما لم يرد بخصوصها نص ولم يسبق فيها اجتهاد.

على أن المقصود بتلك المسائل الحادثة والوقائع المستجدة ما يشمل أموراً ثلاثة هي:

١- ما وقع للمرة الأولى مثل: زراعة الأعضاء، والاستنساخ مما لم يرد بخصوصه نص أو يسبق فيه اجتهاد.

٢- ما وقع قبل ذلك لكن تغير حكمه لتغير ما ابتنى عليه الحكم، مثل: اختلاف صور قبض المبيع بعد اختلاف الأعراف.

٣- ما وقع قبل ذلك إلا أنه اجتمع لدى وقوعه فيما بعد تداخل أكثر من صورة، مثل: عقود المقاولات والاستصناع.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

فإن وجد فيه ما يقضي به قضى، وإن لم يعلم خرج فسال المسلمين عن السنة، فإن أعياء ذلك، دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به، وإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفعل ذلك» [سنن البيهقي الكبرى: (١١٤/١٠)]، ونقله الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣٤٢/١٣) عن البيهقي، وقال: صحيح الإسناد.

وفي بداية عهد الفاروق رضي الله عنه وما تبعه من عهود الراشدين كثرت النوازل التي تزامنت مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، ودخول بلاد ذات ثقافات وحضارات مختلفة في دين الله عز وجل.

وعن المسيب بن رافع رضي الله عنه قال: «كانوا إذا نزلت بهم قضية ليس فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر، اجتمعوا لها وأجمعوا، فالحق فيما رأوا» [سنن الدرامي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة: (١١٥)].

وفي القرن الهجري الأول كانت العناية بالفقه وأحكامه الأساسية تعليمياً وتعلماً، وبما يجد وينزل سؤالا واستفتاءً، ولم يكن ثمة ما يدعو للفصل بين الفقه والنوازل، بل كانا متلازمين، وإن كانا لم يدونا آنذاك.

معنى النوازل لغة واصطلاحاً:

النوازل لغة: جمع نازلة، ويقال في الجمع نوازل ونازلات، وجذرهما (ن ز ل) يدل على هبوط الشيء ووقوعه. [انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس: (ص ١٠٢٢، ١٠٢٣)].

والنازلة المصيبة والشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس. [المصباح المنير: لأحمد محمد الفيومي: (ص ٣٠٩)، «الكليات» لأبيوب بن موسى الكفوي اللغوي: (ص ٩١)].

واصطلاحاً: استعمل بعض الفقهاء مصطلح النازلة على معناها اللغوي المتقدم في مواضع من كتب الفقه كقولهم: «يجوز القنوت في النوازل» أي: المصائب العامة، والشدائد المدلهمة، وعلى هذا تحمل ترجمة النووي -رحمه الله- في شرحه على صحيح مسلم: «باب استحباب القنوت في جميع الصلوات إذا نزلت بالمسلمين نازلة والعياذ بالله» [صحيح مسلم بشرح النووي: للإمام النووي: (١٧٦/٥)]، ثم ذكر أنواعاً من المصائب: «كعبو، وقحط، ووباء، وعطش، وضرر ظاهر بالمسلمين، ونحو ذلك». [المصدر السابق: (١٧٦/٥)].

وكذا قول ابن تيمية رحمه الله: «فيكون القنوت مسنوناً عند النوازل» [الفتاوى الكبرى لابن تيمية: (٢٤٥/٢)].

باب السيرة النبوية

نظرات

في سيرة

النبي صلى الله

عليه وسلم

عزم وإصرار على نشر الدعوة



جمال عبد الرحمن

إعداد /

الحمد لله المتفرد باسمه الأسمى، المختص بالملك الأعز والكمال المطلق الأعلى، الذي ليس بونه منتهى ولا وراءه مرمى، الظاهر لا تخيلاً ووهماً، الباطن تقدساً لا عدماً، وسع كل شيء رحمة وعلماً، وأسبغ على أوليائه نعماً غماً، وبعث فيهم رسولاً من أنفسهم عرباً وعجماً، أزكاهم روحاً وجسماً، وأرجحهم عقلاً وحلماً، وأوفرهم علماً وفهماً، وأقواهم يقيناً وعزماً، وأشدهم بهم رافةً وزخماً، وحاشاه عيباً ووصفاً، وأناه حكمة وحكماً، وفتح به أعينا عمياً، وقلوباً غلماً، وأذاناً صماً، فأنم به وعززه ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسماً، وكذب به وضد عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتماً، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى، صلى الله على سيد ولد آدم

صلاة تنمو وتُؤمى، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً، وبعد؛ فإني تجشمت من خلال هذا الباب المبارك أن ألقى نظرات وأمعن النظر في سيرة خير الأنام وسيد البشر؛ استخلص منها بتوفيق الله تعالى الدروس والعبر، التي تكون سبيلاً وأسوة لمن اعتبر وادكر، يكون إن شاء الله ذلك مع التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام، وما يجب له من محبة وتوقير وإكرام، من خلال وقفات مع سيرته صلى الله عليه وسلم التي مدحها رب الأنام، ورفع منزلته وأعلى مقامه المليك العلام، بسمو خلقه وجميل معرفته مع سائر الأنام، وشهادة أعدائه بذلك غير الدهور والأيام.

ويا لجرأتي، فما حكم من لم يوف واجب ذلك السيد العظيم القدر؟ أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر؟ فهذا بحر لا يدرك ساحله، ولا تقطع مسافته ومراحله، إذا لم نهتد بعلم رشيد، ونظر سديد، وإن لم نعمت على توفيق من الله وتأييد، فاللهم يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني، وبهداك اهدني وبتوفيقك أيدني.

الرسول الرحمة المهداة صلى الله عليه وسلم

لقد من الرحمن سبحانه وتعالى على العالمين برحمة أرسلها إليهم جميعاً، هذه الرحمة تجسدت في شخص خاتم النبيين، الذي جعله الله تعالى معلماً للكتاب والحكمة، فكان بذلك جديراً، كما أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، وجعل محبة الله في اتباعه ومحبته، والهداية في طاعته، لأجل هذا شرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وزكى لسانه وسمعه، ومنطقه وقلبه، ومدح خلقه وبصره، فما زاع بصره وما طغى، وما كذب فؤاده ما رأى، بل عظم خلقه وسماً، فاستحق الثناء في الملأ الأعلى: مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٢) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (١) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٣) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (٤) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٥)

وَوَجَدَكَ عَائِلًا مَغْنًى» [الضحى: ٣-٨].

العلاقة بين المسلمين ونبِيِّهم صلى الله عليه وسلم:

لقد شرفنا الله تعالى أن نكون من أفراد أمة النبي صلى الله عليه وسلم، فما رأينا العزة إلا في الانتساب إليه وإلى ملته، وما عرفنا سعادة الدنيا والآخرة إلا بسنته، وما وجدنا الهدى إلا في طاعته.

فهو القدوة الأوحى، يُؤخذ قوله ولا يُرد، ولا يتجاوز في مدحه الحد، لكنه سيد كل ولد، فله المنة والحمد، على نعمة التي لا تحصى ولا تعد.

وحينما نتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو حديث الجندي عن قائده، والتابع عن سيده، والتلميذ عن أستاذه، فسيرته تنبض بالحياة والقوة، وهي مصدر الأسوة الحسنة والقدوة، التي يقتفيها المسلم الذي يتمسك بأوثق عروة، كما أنها منبع الشريعة العظيمة التي يدين بها الصفة.

وحياته صلى الله عليه وسلم ليست مجرد قصة تتلى في يوم مولده كما يفعل جهال الناس الآن، ولا التنويه به يكون في الصلوات المخترعة التي قد تضم إلى الفاظ الأذان، ولا إكثان حبه يكون بتأليف مدائح له، وصياغة نعوت مستغربة وألحان، يتلوها العاشقون، ويتأوهون أو لا يتأوهون، فرباط المسلم برسوله الكريم أقوى وأعمق من هذه الروابط الملفة المكنوبة على الدين، وما جَنَحَ المسلمون إلى هذه التعابير إلا يوم أن تركوا اللباب الملىء وأعيانهم حمله، فاکتفوا بالمظاهر والأشكال.

إن الجهد الذي يتطلب العزمات هو في الاستمسك باللباب المهجور، والعودة إلى جوهر الدين ذاته، بدلاً من الاستماع إلى قصة المولد يتلوها صوت رخيم، ينهض المرء إلى تقويم نفسه، وإصلاح شأنه حتى يكون قريباً من سنن الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم في معاشه ومعاده، وحره وسلمه، وعمله وعلمه، وعاداته وعبادته، وهذا هو مقتضى الحب الحقيقي لهذا الرسول صلى الله عليه وسلم.

إن المسلم الذي لا يعيش الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في نفسه وقلبه؛ ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره، لا يُغني عنه أن يحرك لسانه بالف صلاة عليه في اليوم والليلة، مهترًا بذلك مغنياً معجباً، فتحويل الإسلام إلى غناء يصح القرآن فيه ألحاناً عذبة، والسيرة قصائد وتواشيح، فهذا ما لا مساغ له، ولا يقبله إلا الصغار الغافلون، وقد تم هذا التحول على حساب الإسلام، فانسحب الدين من ميدان السلوك والتوجيه إلى ميدان اللهو واللعب، وحق فيمن فعلوا ذلك قول الله تبارك وتعالى: «وَدَّرَ الَّذِينَ آمَنُوا دِينَهُمْ وَهُمْ وَأَهْلَهُمْ وَرَعَّتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» [الأنعام: ٧٠].

إن الذي يبتغي العمل الجاد يطلبه من مصادره

المصفاة؛ قرأنا بأمر وينهى، ليفعل أمره، ويترك نهيه، وسنة تفصل وتوضح لبسار على هديها، ويُنتفع من حكمتها، وسيرة تزكي رواها بالادب الزكي، والقواعد النورانية، والسياسة الراشدة.

ألا ما أرخص الحب إذا كان مجرد كلام، وما أغلاه حينما يتحول إلى قوة وزمام.

إن الرجال الذين يثبتون على الحق بعد رحيل نبيهم عنهم هم المسلمون حقاً، فإن الإسلام رباط بمبادئ لا بأشخاص، وقد علم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وعلم المسلمين في شخصه أن يلتزموا الحق الذي عرفوا، وأن يتشبثوا به مهما غولبوا وخُربوا.

قيمة الإخلاص والعرض على نشر دعوة الله:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى، والإمام الأعظم في تمثيل الحق والدعوة إليه والدفاع عنه، وفي الوقت ذاته مجابهة الباطل وأهله، مهما اغتروا بكثرتهم العددية وقوتهم المادية.

ظهر ذلك عندما اغتتم الكفار فرصة مرض أبي طالب - عم النبي صلى الله عليه وسلم - وضعفه عن نصرة ابن أخيه، فجاءوا إليه ليزيلوا هذا السد المنيع الذي يقف بينهم وبين النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما مرض أبو طالب، دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فقالوا: إن ابن أخيك يشتم ألهتنا ويفعل ويفعل، ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فذهيته، فبعث إليه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل، فخشي أبو جهل إن جلس النبي إلى جانب عمه أبي طالب أن يكون أرق عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس.

ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً قرب عمه فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أي ابن أخي! ما بال قومك يشكونك ويزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عم! إنني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية، ففرغوا لكلمته ولقوله، وقالوا: كلمة واحدة؟ نعم وأبىك، عشراً (أي نقول عشر كلمات)، وما هي؟ قال: لا إله إلا الله، فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: «أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ» [ص: ٥] إلى قوله: «كُلُّهُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابٌ» [ص: ٨]. (تفسير الطبري ١٢٥/٢٣، أحمد والترمذي، وقال: حسن صحيح).

وهنا تظهر شراسة أهل الباطل في مواجهة أهل الحق، ومحاولة إضعاف شخصيتهم بكل الأساليب والحيل لينهزموا وينزوا بعيداً عن الأنظار في خورٍ وحرٍ

من تمثيل الحق والدفاع عنه.

لكن المهمة العالية والأسلوب البارع لرسول الله صلى الله عليه وسلم والإثارة وشدة الانتباه، حتى ظن القرشيون أنه حصر دعوته في كلمة واحدة، وسيتنازل عما سواها، فأبدوا استعدادهم لأكثر مما طلب.

لكنهم فوجئوا بكلمة وإن كانت واحدة لكنها تعني المنهج الكامل في طريق الاستقامة، الذي يتضمن التخلي عن جميع المعبودات والآلهة والمقدسات التي تعارف عليها البشر ونظمها وتشريعاتها.

إن كان المشركون يدركون جيداً مدلول كلمة التوحيد، ومسئولية النطق بها، وتبعية قولها، ولذلك فزعوا منها، إنها هدم لموروثاتهم، وحيلولة بينهم وبين اتباع أهوائهم، واستعباد المستضعفين من البشر.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم صريحاً معهم صادعاً في وجههم بما لا شك فيه ولا مواربة ولا مداراة، ولم تَلْنْ له في ذلك قناة، مع كثرتهم وكيدهم وتكاليهم عليه، وهذا مثل عال يضربه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته في معاملة الخصوم المحادين للدعوة والدعاة، الصدع بالحق واضحاً جلياً لا يُخشى في الله لومة لأثم.

وإن رد الرسول صلى الله عليه وسلم على قومه ووعدهم إذا هم أسلموا بالسيادة على العالم عربيه وعجمه، فضلاً عن الفوز برضوان الله في الآخرة؛ ليوضح بجلاء عالمية الإسلام والدعوة، وبين للذين ورتوا هذا الدين جيلاً بعد جيل وأنظارهم متوجهة فقط إلى السيادة على بلدانهم، وليس في حسهم نقل هذا الدين ونشره إلى العالم، بل قصرت أفكارهم على الحفاظ على المستوى الأعلى في متاع الدنيا، ولو في ظل هيمنة الأعداء عليهم؛ إن هؤلاء نكصوا عن الأهداف السامية التي يرمي إليها الإسلام «وَيَكُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ» [الأنفال: ٣٩]، «يُظَاهِرُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا» [سورة التوبة: ٣٣]. «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً».

عزم وإصرار لأولي العزم الأخيار

إن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجد الصدود والصد والجحود لم يترجع عن دعوته قيد أنملة، بل استمر

في دعوته داخل مكة وخارجها، يبحث في القبائل عن ناصر قوي يتكفل بحماية الدعوة والمؤمنين بها: «من يأويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي؟» [رواه أحمد (٣ / ٣٢٢، ٣٢٣ - ٣٣٩) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١ / ٩٣].

لقد توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائفت التي تبعد عن مكة عشرات الكيلو مترات ماشياً، ودعاهم إلى الله، فأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس والجوؤه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، قال ابن إسحاق في سيرته: «فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي صلى الله عليه وسلم فيه الأذى تحركت له رحمتهما، فدعوا غلاماً نصرانياً يقال له: عداس، فقالا له: خذ قطعاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه، ففعل، فلما وضع الرسول صلى الله عليه وسلم فيه يده قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر الغلام في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. انتهى.

وإن تسمية النبي صلى الله عليه وسلم قبل الأكل بتطبيق لِسَنَةِ من سنن الإسلام الظاهرة كانت سبباً في إعجاب وأنجذاب الغلام النصراني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإن لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة؛ حيث جهر بتطبيق الإسلام بكل تكاليفه ولم يخش في الله لومة لأثم، أما محاولة الانمماج مع المجتمعات الوثنية، والذوبان فيما يسمونه بالحضارة، والاستخفاف بمعالم الإسلام الظاهرة فإن هذا يحصر انتشار الدين، ويحجب كثيراً من نوره وشعاعه عن كثير ممن لم يعرفوه، فضلاً عن أنه يُضعف شخصية المسلمين، ويمحو سر تميزهم: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ».

[آل عمران: ١١٠].

اللهم إنا نسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ورفقة النبي محمد، في أعلى جنة الخلد. آمين.

والحمد لله رب العالمين

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفي ليلة الجمعة ٢٤ من ذي الحجة ١٤٣٣ هـ الشيخ سعيد قطة، رئيس فرع الجماعة بحدائق حلوان بالقاهرة، وقد كان الشيخ رحمه الله مثلاً للداعية الذي لا يمنعه المرض من ممارسة الدعوة، وقد عُرف رحمه الله بشجاعته وثباته على المنهج.

وقد شيعت جنازته عقب صلاة الجمعة، ف رحمه الله، ونسأل الله أن يجعله في الفردوس الأعلى.

أحمد يوسف عبد المجيد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

فما يزال الحديث مستمرًا عن أحكام الصلاة، وفي هذا العدد نتحدث عن الشرط السادس من شروط صحة الصلاة ألا وهو ستر العورة، فنقول مستعينين بالله العلي العظيم:

ستر العورة

العورة لغة: النقص، وشرعًا: ما يجب ستره، وما يحرم النظر إليه، والمعنى الأول هو المراد هنا في الصلاة. يُشترط ستر العورة عن العيون. (الفقه الإسلامي وأدلته ١/٦٥٠).

حكم ستر العورة في الصلاة:

يجب ستر العورة في الصلاة وغيرها ولو في الخلوة إلا لحاجة كإغتسال وتغوط واستنجاء، قال ابن عبد البر: وأجمع العلماء على أن ستر العورة فرض واجب بالجملة على الآدميين، وأنه لا يجوز لأحد أن يصلي عريانًا وهو قادر على ما يستر به عورته من الثياب، وإن لم يستر عورته وكان قادرًا على سترها لم تجزئه صلاته. (الاستذكار لابن عبد البر ٢/١٥٢).

وكذلك نقل شيخ الإسلام ابن تيمية أن العلماء اتفقوا على أن الإنسان الذي يصلي عريانًا وهو قادر على اللباس فصلاته باطلة (التمهيد لابن عبد البر ٦/٣٧٩، وانظر: «مجموع الفتاوى» ١١٧، ٢٢/١١٦).

واختلفوا هل هو شرط من شروط صحة الصلاة أم لا؟ والأصح ما ذهب إليه الجمهور وهو أنه شرط لصحة الصلاة. والدليل على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: «يَبْنِيْ عَادَمٌ خُدُوًا وَيَتَكَبَّرُ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ» [الأعراف: ٣١]، أي عند كل صلاة؛ لأن أخذ الزينة يلزم منه ستر العورة، لأن الآية نزلت من أجل الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة. (الاستذكار لابن عبد البر ٢/١٥٢).

٢- قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن كان واسعًا فالتحف به، وإن كان ضيقًا فاتزر به» [صحيح الجامع للألباني ٢٧١]، فلا بد من الاتزار، وإذا كان واجبًا في العبادة، فكل واجب في العبادة شرط لصحتها، فإذا تركه الإنسان عمداً بطلت هذه العبادة، (الشرح الممتع على زاد المستقنع ٢/١٥١).

شروط الثوب الساتر:

الشَّروط الأول: يجب أن يكون صفيقًا كثيفًا؛ فالواجب الستر بما يستر لون البشرة ولا يصفها، فإن كان الثوب خفيفًا أو رقيقًا يصف ما تحته أو يتبين لون الجلد من ورائه، فيعلم بياضه أو

باب الفقه

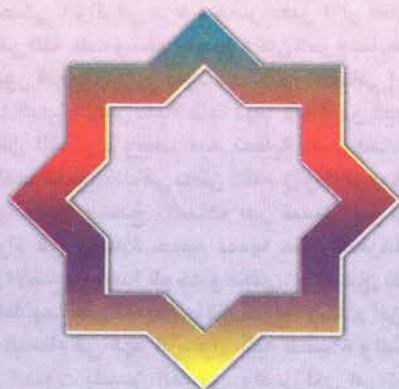


أحكام الصلاة

شروط الصلاة

الشرط السادس:

ستر العورة



إعداد: د/ حمدي طه

عورة، والثاني حديث أنس في الصحيحين - في غزوة خيبر - وهو حديث طويل وفيه: (وإن ركبتك لتمس فخذ النبي صلى الله عليه وسلم، ثم حسر الإزار عن فخذ - وفي رواية) ثم انحسر الإزار عن فخذ حتى إني أنظر إلى بياض فخذ النبي صلى الله عليه وسلم) [متفق عليه]. [بداية المجتهد ونهاية المقتصد ٩٥/١ بتصرف].

وقد سلك البعض مسلك الجمع كالبخاري حيث قال: حديث أنس أسند وحديث جرهد أحوط، وحتى إذا قلنا: إن الفخذ ليس بعورة، فكما قال شيخ الإسلام: «موضع هذا خارج الصلاة، أما في الصلاة، فيجب سترها، لقوله صلى الله عليه وسلم - في الثوب الواحد - (إن كان واسعاً فالتحف به وإن كان ضيقاً فأتزر به) [صحيح الجامع ٢٧١]. (شرح العمدة في الفقه ٤٣/٤).

أما الركبة: فجمهور أهل العلم على أنها ليست بعورة. وهي عورة عند أبي حنيفة؛ لحديث وارد في الدارقطني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الركبة من العورة) لكن الحديث إسناده ضعيف جداً. فالراجح مذهب الجمهور.

حد العورة من المرأة في الصلاة:

أما صحة الصلاة مع كشف الوجه فلا خلاف بين المسلمين قال ابن تيمية: وأما الوجه فلا تستره في الصلاة إجمالاً. (شرح العمدة في الفقه ٢٢٩/٣)، وذهب الجمهور إلى أن الكفين يجوز كشفهما في الصلاة قياساً على الوجه. وهذا قياس واضح، وهذا هو الراجح (شرح زاد المستقنع: الشيخ حمد بن عبد الله الحمد ٤٧/٤).

وأما القدمان: فجمهور أهل العلم: على النهي عن كشفهما. واستدلوا: بما رواه أبو داود من حديث أم سلمة: أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: (أتصلي المرأة في درع وخمار بغير إزار فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم إذا كان الدرع سابغاً يغطي ظهور قدميهما) [أبو داود وصححه الألباني] على أن هذا الدليل: ليس دليلاً تاماً لهم؛ لأنه ليس فيه تغطية باطن القدمين، وإنما فيه تغطية ظاهرهما، وظاهر كلامهم تعميم ذلك في باطن القدمين وظاهرهما. وذهب أبو حنيفة وشيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن عورة المرأة في الصلاة جميع بدنهما حتى شعرها النازل في الإصح، ما عدا الوجه والكفين، والقدمين ظاهرهما وباطنهما على المعتمد، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن النساء في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كن في البيوت يلبسن القميص، وليس لكل امرأة ثوبان، ولهذا إذا أصاب دم الحيض الثوب غسلته وصلت فيه، فتكون القدمان والكفان غير عورة في الصلاة.. (مجموع الفتاوى ١٠٩/٢٢ مختصراً).

حمرته، لم تجز الصلاة به؛ لأن الستر لا يحصل بذلك. (الفقه الإسلامي وأدلته ٦٥١/١)، وإن كان يستر لونها، ويصف الخلفة أو الحجم؛ جازت الصلاة به؛ فقد اتفق أهل العلم على أن ظهور الحجم إذ سترت البشرة أنه ليس بمعتبر في سترها، وذلك لمشقة التحرز من ذلك. (شرح زاد المستقنع: للشيخ حمد بن عبد الله الحمد ٤١/٤)، لكنه عند الشافعية للمرأة مكروه، وللرجل خلاف الأولى. فظهور حجمها لا يعد مخالفاً للستر الواجب الشرعي (الفقه الإسلامي وأدلته ٦٥١/١).

الشرط الثاني: أن يكون طاهراً. فإذا كان نجساً فإنه لا يصح أن يصلي به، والدليل ما يلي: قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ» [المائدة: ٤] فالآية دللت على وجوب طهارة الثوب.

٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُصلي ذات يوم بأصحابه؛ فخلع نعليه، فخلع الناس نعالهم، فلما سلم سألهم: لماذا خلعوا نعالهم؟ قالوا: رأيناك خلعت نعلك فخلعنا نعالنا، فقال: «إن جبريل أتاني فأخبرني أن فيهما أذى» [أبو داود وصححه الألباني]، وهذا يدل على وجوب التنزه مما فيه نجاسة.

هل يشترط أن يكون الثوب الساتر مباحاً - أي: ليس بمحرماً -؟ هذا الأمر محل خلاف بين العلماء، فجمهور أهل العلم على أن الستر يحصل بالثوب المحرم؛ فيصح الستر مع الحرمة وتنعقد الصلاة، وقال الحنابلة في أشهر الروايتين: لا تصح الصلاة في ثوب حرام، إن كان عالماً ذاكراً (الفقه الإسلامي وأدلته ٦٥٢/١).

واحتج الجمهور على صحة مذهبهم بأن جهة النهي والأمر مختلفة؛ لأن المحرم في هذا الثوب ليس هو لبسه في الصلاة، بل المحرم لبس هذا الثوب مطلقاً، وعلى هذا فيكون مورد النهي غير مورد الأمر، فإذا صلى بثوب محرم فصلاته صحيحة؛ لكنه أثم؛ لأنه متلبس بثوب محرم. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ١٥٥/٢).

حد العورة:

يشترط عند أكثر أئمة المذاهب لصحة الصلاة ستر العورة كما تقدم، لكن الفقهاء اختلفوا في حد العورة للرجل والمرأة الحرة، والخلاصة: أن العلماء اتفقوا على أن الفرجين من العورة في الرجل، وأن السرة ليست بعورة، واختلفوا في الفخذين والركبتين. (الفقه الإسلامي وأدلته ٦٥٤/١).

وسبب الخلاف في ذلك تعارض بعض الآثار واختلاف مسلك أهل العلم في التعامل مع هذه الآثار، وأشهر هذه الآثار حديث جرهد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الفخذ عورة» [صحيح الجامع ١٦٨٣]. والحديث يدل على أن الفخذ عورة، وقد ذهب إلى ذلك الشافعي وأبو حنيفة. قال النووي: ذهب أكثر العلماء إلى أن الفخذ

ما يجزئ من اللباس:

وبعد أن ذكرنا حد العورة من الرجل والمرأة يكون ما يجزئ من اللباس هو ثوب واحد يستر العورة، وبعضه - عند الحنابلة - أو غيره على عاتقه، والعائق: هو موضع الرداء من الرقبة، فالرداء يكون ما بين الكتف والعنق لما روى عمرو بن سلمة «أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في ثوب واحد، في بيت أم سلمة، قد ألقى طرفيه على عاتقه». قال ابن تيمية: وأما إذا جرد منكبيه مع قدرته على سترتهما فلا تصح صلاته في الجملة. (شرح العمدة في الفقه)، والقول الثاني: أن ستر العاتقين سنة؛ وليس بواجب؛ لحديث: «إن كان ضيقاً فاتزر به»، وهذا القول هو الأرجح، وهو مذهب الجمهور، وكونه لا بُدَّ أن يكون على العاتقين شيء من الثوب ليس من أجل أن العاتقين عورة، بل من أجل تمام اللباس وشد الإزار؛ لأنه إذا لم تشد على عاتقك ربما ينسلخ ويسقط، فيكون ستر العاتقين هنا مراداً لغيره لا مراداً لذاته. (الشرح الممتع ٧٣/٢).

وتصلي المرأة في درع وخمار وتكشف الوجه والكفين والقدمين على الأرجح من أقوال أهل العلم.

الثياب التي يستحب الصلاة بها:

وهو أن يصلي الرجل في ثوبين أو أكثر، فإنه أبلغ وأعم في الستر، روي عن عمر أنه قال: «إذا أوسع الله فأوسعوا، جمع رجل عليه ثيابه، صلى رجل في إزار وبرد، أو في إزار وقميص، في إزار وقباء، في سراويل ورداء، في سراويل وقميص، في سراويل وقباء، في ثياب وقميص» رواه البخاري.

والمستحب للمرأة أن تصلي في ثلاثة أثواب: خمار تغطي به الرأس والعنق، وبرقع والبرقع هو: القميص السابغ الذي يصل إلى القدمين. تغطي به البدن والرجلين، وملحفة صفيقة، والملحفة: ما يُلَفُّ على الجسم كله كالعباءة والجلباب وما أشبههما، لقول عمر رضي الله عنه: «تصلي المرأة في ثلاثة أثواب: درع وخمار وإزار»، والمستحب أن تكتف المرأة بجلبابها، حتى لا يصف أعضاءها، وتجا في الملحفة عنها في الركوع والسجود، حتى لا يصف ثيابها. (الفقه الإسلامي وأدلته ١٦٠/٢).

بعض الصور التي ورد النهي عنها:

اشتغال الصماء: ورد النهي عن اشتغال الصماء في الصلاة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحتبي الرجل في الثوب الواحد ليس على فرجه منه شيء، وأن يشتغل الصماء بالثوب الواحد ليس على أحد شقيه منه يعني شيء) متفق عليه.

واشتغال الصماء: أن يلتحف بالثوب ولا يجعل ليديه مخرجاً؛ لأن هذا يمنع من كمال الإتيان بمشروعات الصلاة، وقال بعض العلماء: إن اشتغال الصماء أن يضطبع بثوب ليس عليه غيره، أما إذا كان عليه ثوب آخر فلا كراهة؛ لأنه لبسة المحرم، وفعلها النبي صلى الله عليه وسلم.

ووجه الكراهة هنا: أن فيه عُرْضة أن يسقط فتكتشف العورة، وقيل هو: أن يجعل الرداء على رأسه ثم يسدل طرفيه إلى رجليه. فهذه ثلاث صفات لاشتغال الصماء. (الشرح الممتع ٨٦/٢).

السُّدْلُ في الصلاة:

والسُّدْلُ: أن يَطْرَحَ الرداء على كتفيه، ولا يردَّ طرفه على الآخر. ولكن إذا كان هذا الثوب مما يلبس عادة هكذا، فلا بأس به، ولهذا قال شيخ الإسلام: إن طَرَحَ القَبَاءَ على الكتفين من غير إدخال الكمين لا يدخل في السُّدْل. والقَبَاءُ يشبه ما يُسمَّى الآن «الجبة» والنهي جاء في السنة فعن أبي هريرة: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن السدل في الصلاة وأن يغطي الرجل فاه) رواه أبو داود (الشرح الممتع ٨٥/٢).

تغطية الفم:

لحديث أبي هريرة السابق وفيه (نهى أن يغطي الرجل فاه). وروي عن الحنابلة في كراهة التلثم على الأنف روايتان: إحداهما: يكره؛ لأن ابن عمر كرهه. والأخرى: لا يكره؛ لأن النهي ورد في تغطية الفم.

التشمير في الصلاة:

مكروه اتِّفَاقاً، قالوا: ونهيه يشمل كف الثوب كله، كما لو كفه من أسفل، أو كف بعضه كالأكمام، والدليل: قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم، ولا أكف شغراً ولا ثوباً» (متفق عليه)، كل هذا مكروه للحديث، ولأنه ليس من تمام أخذ الزينة، فإن أخذ الزينة عند الناس أن يكون الثوب مرسلاً غير مكفوف، ثم إن الإنسان قد يفعله ترفعاً؛ لئلا يتلوَّث ثوبه بالتراب فيكون في هذا نوع من الكبرياء.

إسبال القميص والإزار والسراويلات على وجه الخيلاء:

والإسبال في اللغة: الإرخاء والإطالة، وقد نهى عنه صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن مسعود: «من أسبل إزاره في صلاته خيلاء، فليس من الله جل ذكره في حل ولا حرام» رواه أبو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي: حديث صحيح وصححه الألباني. وقوله أيضاً: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه» متفق عليه. (الفقه الإسلامي وأدلته ١٦١/٢).

وللحديث بقية إن شاء الله.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على

خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

قال الله تعالى: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِسَانَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ» [النحل: ١١٢-١١٣]، تعدد ضرب الأمثال في هذه السورة الكريمة - سورة النحل -، ومن هذه الأمثال هذا المثل الذي ذكره الله عن هذه القرية، وسنعرض لهذا الموضوع بفضل الله ورحمته على المحاور التالية:

أولاً: علاقة هذا المثل بالسورة

وتأتي في الصور التالية:

١- هذه السورة «سورة النحل» حشدت مجموعة هائلة من نعم الله في الكون؛ سمائه وأرضه، وبحاره وأنهاره، وجماده ونباته، وحشرات وحيوانه؛ كلها تنطق وتشهد بوحدانية الله سبحانه. لذا ناسب أن يذكر حال المؤمنين الشاكرين، وفي مقابلة حال الكافرين الظالمين، فذكر هذا المثل للمكذبين وغيرهم.

كما عقب بذكر أبي الأنبياء إبراهيم في ختام السورة كمثال للشاكرين وكقوة لهم، فقال سبحانه: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَا يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اتَّخَذَتْهُ رُحْمَتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٦﴾ وَإِنِّي لَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنٌ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَإِنَّ الصَّالِحِينَ» [النحل: ١٢٥-١٢٦].

٢- هذا ولما ذكر الله مصير المؤمنين الصالحين في الدنيا والآخرة في قوله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّا دُكِّرَ أَوْ أَنْتُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [النحل: ٩٧]، فهذا جزاء أهل الإيمان والعمل الصالح: الحياة الطيبة في الدنيا، والجنة في الآخرة، ناسب أن يقابله ذكر المكذبين الظالمين في قوله تعالى: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِسَانَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» [النحل: ١١٢].

٣- أما علاقتها المباشرة بالآية التي قبلها مباشرة وهي قوله تعالى: «وَمَنْ تَأْتِيكُم مَّغِيرَةٌ فَإِنْ أَنْتُمْ لَكُمْ مَخْرُجٌ» [النحل: ١١١] وما قبلها.

قال الإمام القاسمي - رحمه الله -: «أعلم أنه لما هدد الكفار بالوعيد الشديد في الآخرة، أنذرهم بنقمتهم في الدنيا أيضاً بالجوع والخوف». اهـ.

ثانياً: القرية المقصودة هل هي مكة؟ أم أي قرية؟

رجَّح ابن كثير - رحمه الله - وغيره أن القرية هي مكة، واستدل من ذهب هذا المذهب بما جاء في الصحيحين وغيرهما في تفسير ابن مسعود رضي



عاقبة الكفر

إعداد / عبد الرزاق السيد عيد

الله عنه للدخان المذكور في سورة الدخان: «فَلْيَقْبِذْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ» [الدخان: ١٠] أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إدباراً - يعني قريش في مكة - قال: «اللهم سبغاً كسبع يوسف»، دعا عليهم فأخذتهم سنة حصدت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة، وكان ينظر أحدهم إلى السماء فيرى دخاناً من الجوع، فاتاه أبو سفيان بن حرب فقال: يا محمد، إنك جئت تامرنا بالطاعة وصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم. فدعا لهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فكشف الله عنهم، ثم عادوا إلى كفرهم، فكانت البطشة يوم بدر.

وذكر ابن قتيبة في تفسير الدخان معنيين: أحدهما: أن في سنة القحط يعظم يبس الأرض؛ بسبب انقطاع المطر، ويرتفع الغبار ويظلم الهواء، وذلك يشبه الدخان، ولهذا يقال لبسة المجاعة «الغبراء». وقد رجح هذا القول أيضاً العلامة أبو السعود في تفسيره. وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت أمنة مطمئنة لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجاهلاء، حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه فلا يهيج، فحصل بها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها، وكذلك الرزق الواسع». اهـ.

قال صاحب فتح القدير: «هو مثل ضربه الله لأهل مكة بقرية من القرى الظالمة لتعتظ قريش، فلا تستمر على ضلالها، وقيل: القرية هنا: هي مكة نفسها، ضربها الله مثلاً لغيرها». اهـ.

ونحن نميل لمن رأى أنها مكة (والله أعلم)، ونرى أن السياق القرآني يؤكد ذلك الاتجاه، وهذا ما سنعرض له الآن وبالله التوفيق.

قال الله تعالى: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ» [النحل: ١١٢]، وهذا الذي امتن به الله على أهل مكة «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ» [قريش: ٣، ٤]، وحادث الفيل مشهور، وقد أشار إليه القرآن الكريم في سورة الفيل، وبين كيف أرسل على من أرادوا الكعبة بسوء طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول، وقال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَأْمُونًا وَمُحَطَّتُ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَّةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ» [العنكبوت: ٦٧]، وقال تعالى: «أَوَلَمْ نَكُنْ لَهُمْ حَرَمًا مَأْمُونًا يَتَّبِعِينَ لِإِلهِهِمْ فَرَقًا كُلِّيًّا وَبِذُنُوبِهِمْ لَمَنَّا وَلَكِنْ أَكْفَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» [القصص: ٥٧].

وقوله تعالى: «فَكَفَرْتَ بِآيَاتِ اللَّهِ» [النحل: ١١٢] لاحظ أن الله سبحانه ذكر أن القرية كبرت بانعم الله أي بنعم الله بالجمع، ولم يقل بنعمتي الأمن والرزق (الإطعام)؛ لأن كفرهم كان بعد أن امتن الله عليهم بنعمة إرسال النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفون شرفه ونسبه وصدقه وأمانته، ولما جاءهم بالحق من عند الله بشيراً ونذيراً كفروا

به، وهذا من أعظم الجحود والنكران أن يكفروا بهذه النعمة العظيمة التي هي أم النعم وأشرف المنن، ولقد امتن الله عليهم بها في أي الذكر الحكيم في أكثر من موضع، فقال سبحانه: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَیْ سَافِلِينَ» [الجمعة: ٢]، وقال تعالى: «كُنَّا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مِمَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ» [البقرة: ١٥١].

وهذا كثير في كتاب الله، لكن قريش كفرت بانعم الله المادية والمعنوية، كفرت مكة بنعم الله في الأمن والطعام، وإرسال الرسول، فماذا كانت العاقبة؟

قال الله تعالى: «فَأَذْنَبَ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ يَدْعُوا بِحَنُوفِهِمْ يَدْعُوا بِحَنُوفِهِمْ» [النحل: ١١٢]، وتامل هذا التصوير القرآني البليغ؛ حيث صور الخوف والجوع لبأساً لا ينفك عنهم أبداً؛ بسبب كفرهم وتكذيبهم، وهذا ما حدث لأهل مكة بالفعل؛ حيث أصابهم ما أصابهم من المجاعة بعد أن دعا عليهم النبي كما وضحناه آنفاً، واستمر الجوع والخوف ملازماً لهم، وخاصة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة خوفاً من سطوة المسلمين وسرايهم على قوافل قريش التي لا طريق لها في عودتها من الشام إلا من المدينة، وما أصابهم يوم بدر، واستمر هذا الاضطراب والقلق حتى فتح الله مكة، وتم القضاء على الشرك نهائياً، وبدل الله المؤمنين بعد خوفهم أمناً، ورزقهم بعد العيلة، وجعلهم شرفاء الناس وحكامهم وقادتهم، وهذا وعد الله قد تحقق لعباده الصالحين.

ارتباط الأمن بالإيمان:

ونحن في ختام مقالنا هذا نشير إلى الفائدة العظيمة المستخلصة من هذا المثل -سواء كانت القرية المقصودة هي مكة أو غيرها، فإن الاعتبار والاتعاظ هو الغاية- ألا وهي ارتباط الأمن بالإيمان، بل اشتقاق الأمن من لفظ الإيمان، فلا أمن في الدنيا والآخرة إلا بالإيمان، وأعظم الأمن إنما يتحقق بإخلاص التوحيد لله رب العالمين وأقرعوا إن شئتم حجة الله التي ألهمها إبراهيم على قومه حين قال: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُسْتَسْقُونَ» [الأنعام: ٨٢].

والمقصود بالظلم في الآية الكريمة هو الشرك كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم من قول العبد الصالح لقمان حين قال لابنه: «يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» [لقمان: ١٣].

ولا أكون مبالغاً إن قلت: إنه لا سلام على الأرض، ولا أمن في الدنيا والآخرة إلا بإخلاص التوحيد الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليقيم به ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، وهو الدين الذي ارتضاه الله ولا يقبل ديناً سواه، والحمد لله رب العالمين.

من الآداب الإسلامية

آداب الأخوة

والصحبة

الحلقة الثالثة

سعيد عامر

إعداد /

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وعلى
آله وصحبه وسلم، وبعد:

فقد سبق الحديث عن مفهوم الأخوة ثم آداب
الأخوة، وذكرنا الحق الأول وهو الحب في
الله والبغض في الله، ثم عن الحق الثاني،
وهو سلامة الصدر وطهارة القلب، وفي هذا
اللقاء نتكلم عن الحق الثالث وهو:

٣- الورع وحفظ اللسان عن الأعراض:

أ- مفهوم الورع في القول:

الأصل في الورع: الكف عن المحارم، والتخرج
منها:

والورع: الكف عن القبيح، وقيل في الورع:
هو اجتناب الشبهات؛ خوفاً من الوقوع
في المحرمات، وقيل: هو ملازمة الأعمال
الجميلة.

وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم الورع
كله في كلمة واحدة، فقال: «مَنْ حَسَنَ إِسْلَامَ
المرء تركه ما لا يعنيه» الترمذي وابن ماجه
وصححه الألباني.

فهذا يعم الترك لما لا يعني: من الكلام والنظر،
والاستماع، والبطش والفكر، وسائر الحركات
الظاهرة والباطنة، فهذه الكلمة كافية شافية
في الورع.

وعند الترمذي مرفوعاً: «يا أبا هريرة، كن
ورعاً تكن أعبد الناس» ابن ماجه وصححه
الألباني.

وقال إسحاق بن خلف: الورع في المنطق أشد
منه في الذهب والفضة.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: ما رأيت
أسهل من الورع؛ ما حاك في نفسك فاتركه.
ولذلك وجب حفظ اللسان عما يُغضب الرحمن،
خاصة في حق إخوانك المسلمين.

ب- الكلمة مسئولية:

اللسان نعمة عظيمة من أجل نعم الله على
العبد، قال الله سبحانه ممتناً به على عباده:

«أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۖ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ» [البلد: ٨،

٩]، ولذلك الخطر يكمن في إساءة استخدام هذه النعمة لغير ما خلقت له، وسخرت له، فهو صغير حجمه، عظيم طاعته وجرمه؛ قال الله سبحانه: «مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» [ق: ١٨].

يقول الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله -: إن جراحة اللسان الناطق بالكلام المنوط عليه، أساس في الحياة والتعايش ديناً ودنياً، فبكلمة التوحيد يدخل المرء في ملة الإسلام، وبنقضها يخرج منها، وبين ذلك مراحل انتظمت أبواب الشريعة، فلو نظرت إلى الكلام، وما بني عليه من أحكام لوجدت من ذلك عجباً في: الطهارة، والصلوات، وسائر أركان الإسلام، والجهاد، والبيوع، والنكاح، والطلاق، والجنایات، والحدود، والقضاء. بل أفردت أبواب في الفقهيات كلها لما تلفظ به هذه الأداة: اللسان: في أبواب: القذف والأيمان والنذور والشهادات، والإقرار، وفي الأصول: التوحيد.

فكم من كلام أوجب ردة قتلًا، أو أوجب قذفًا فجلاً، أو أوجب كفارات أو نزعت بسببه حقوق فردت مظالم إلى أهلها، أو إقرار أوجب بمفرده حقاً.

ولذا قالوا: إقرار المرء على نفسه أقوى البينات.

ولهذا تكاثرت نصوص الوحيين الشريفين في تعظيم شأن اللسان؛ ترغيباً وترهيباً، ففي الترغيب: الدعوة إلى الله على بصيرة، ونشر العلم بالدرس، وفضل الصدق، فكلمة الحق... إلخ.

وفي الترغيب: عن الغيبة والنميمة والكذب وآفات اللسان الأخرى، ومن هنا كان للسان في الخير مجال رجب، وله في الشرع باع كبير، فمن أطلقه عذبه اللسان، ومن أهمله فأرخص له العنان، سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى دار البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم، إلا حصائدُ ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيد به بلجام

الشرع.

فينبغي لكل مسلم أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام: إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد يجزّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه.

ففي الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن لا يذم أحداً، ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه.

وعن أبي الذئال قال: تعلم الصمت كما تتعلم الكلام، فإن يكن الكلام يهديك، فإن الصمت يقيك، ولك في الصمت خصلتان: تأخذ به من علم من هو أعلم منك، وتدفع به عنك من هو أجل منك.

وقال طاووس: لساني سبّع إن أرسلته أكلني.

وقال بعضهم: رأيت مالكا صامتا لا يتكلم، ولا يلتفت يمينا ولا شمالا إلا أن يكلمه إنسان فيسمع منه، ثم يجيبه بشيء يسير، فقبل له في ذلك، فقال: وهل يكب الناس في جهنم إلا هذا؟ وأشار إلى لسانه.

قال الله عز وجل: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ (٣) [المؤمنون: ١-٣].

ويمن الله عليهم بقوله: «وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا» [الفرقان: ٧٢]، «وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَقُولُونَ» [الانفطار: ١٠، ١٢]، «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» [الإسراء: ٣٦].

«وَمَنْ تَقَشَّدَ عَلَيْهِمُ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَلْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [النور: ٢٤].

فإذا كان الإنسان سيحاسب على كلامه فينبغي له أن يحتاط فلا يطلق لسانه، بل يجب عليه أن يمسك عليه لسانه، فلا يتكلم إلا بالخير، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا

سَيِّدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وحين سُئِلَ صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ قال: «الغم والفرج» [الترمذي وحسنه الألباني].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب». وفي رواية: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم» رواه البخاري.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يُشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالا، يزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفرى في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول.

ثم قال: إن بعض الناس لا تراه إلا منتقداً ينسى حسنات الطوائف والأجناس، ويذكر مثالبهم، فهو مثل الذباب يترك موضع البر والسلامة، ويقع على الجراح والأذى، وهذا من رداءة النفوس، وفساد المزاج. وقد أحسن من قال:

احفظ لسانك أيها الإنسان

لا يلدغتك إنه ثعبان
كم في المقابر من لدغ لسانه

كانت تهابُ نزاله الشجعان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن

تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» رواه مسلم.

وروي عن أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل كلام ابن آدم عليه، لا له، إلا أمرٌ بمعروف، أو نهي عن منكر، أو ذكرٌ لله». [الترمذي، وقال: حسن غريب، وابن ماجه، وضعفه الألباني].

فمن حق أخيك المسلم عليك إن لم تستطع أن تنفعه بمالك، أن تكف عنه لسانك، وهذا أضعف الإيمان، فعليك أيها المسلم أن تتورع في القول، فهذا من حق أخيك عليك، قال الله عز وجل: «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [النور: ١٩].

وقال تبارك اسمه: «إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاحِشَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَذِ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» [النور: ٢٣-٢٥].

أخي الكريم... أمسك عليك لسانك، تورع عن العلماء، وعن الخوض في أعراض كواكب الأمة، تورع عن الخوض في أعراض الناس، فعن أبي موسى قال: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده» متفق عليه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله رَدْغَةَ الْخَبَالِ». قالوا: يا رسول الله، وما رَدْغَةُ الْخَبَالِ؟ قال: «عَصَاةُ أَهْلِ النَّارِ حتى يخرج مما قال وليس بخارج» [رواه الطبراني وأبو داود والحاكم وقال صحيح الإسناد، وقال الشيخ الألباني بمجموع طرقه صحيح].

وللحديث بقية في الكف عن أذية الخلق باللسان، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله.

باب التراجم

الخليمة الراشد

أبو بكر الصديق

رضي الله عنه

صلاح نجيب الدق

إعداد

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي بعته الله هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فإن لأبي بكر الصديق رضي الله عنه منزلة كبيرة في تاريخ الإسلام وقلوب المسلمين الصادقين، وهو أحد أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذين مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز قائلاً: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال: ٧٤)، ولذا أحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بشيء موجز عن سيرته المباركة، فأقول وبالله التوفيق:

اسم أبي بكر ونسبه رضي الله عنه:

عبد الله بن عثمان (أبو قحافة) بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده مرة بن كعب.

والدة أبي بكر رضي الله عنه:

هي أم الخير، سلمى بنت صخر بن عامر، أسلمت وهاجرت وماتت وهي مسلمة. (انظر: الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ١٢٦ والإصابة ج ٢ ص ٣٣٣)

ميلاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

وُلد أبو بكر رضي الله عنه بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر في مكة، ونشأ بها، وكان لا يخرج إلا للتجارة. (الإصابة ج ٢ ص ٣٣٣).

زوجات أبي بكر وأولاده:

كان لأبي بكر رضي الله عنه أربع زوجات، وله ثلاثة أولاد، وهم عبد الله وعبد الرحمن ومحمد، وثلاث بنات وهن: أسماء وعائشة وأم كلثوم. (تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٥١).

لقب أبي بكر رضي الله عنه:

يُلَقَّبُ بِالصَّدِيقِ، قيل: كان يلقب به في الجاهلية لما عُرف منه من الصدق، وقيل لمبارته إلى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبر به عن الله تعالى، وأول ما اشتهر به صبيحة الإسراء. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٨ - ٢٩، فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ١١).

منزلة أبي بكر رضي الله عنه في الجاهلية:

كان أبو بكر من رؤساء قريش في الجاهلية، ومن أهل مشاورتهم، وكان محبباً إليهم، وأعلم بأنسابهم، وكان إليه أمر الديات

والغرم. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٠).

إسلام أبي بكر رضي الله عنه:

كان أبو بكر رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال، ثم أخذ يدعو إلى الإسلام، فأسلم على يديه عدد كبير؛ منهم خمسة من العشرة المبشرين بالجنة وهم: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله. (سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٢).

أبو بكر يتحمل الأذى في سبيل الله:

لما عزم أبو بكر رضي الله عنه على الهجرة إلى الحبشة، لقيه ابن الدغنة، سيد الأحابيش، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي، فقال ابن الدغنة: إن مثلك يا أبا بكر لا يخرج، فإنك تكسب المعدم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم أجاره، ورجع معه أبو بكر إلى قريش، فأخذ أبو بكر يعبد ربه ثم ابتنى مسجداً بفناء بيته، فكان حينما يصلي ويجهر بالقراءة يجتمع عليه نساء المشركين وأولادهم ويعجبون بذلك، فخشي المشركون ذلك، وطلبوا من ابن الدغنة أن يمنع أبا بكر من الجهر بتلاوة القرآن أو يرد عليه جواره، فرفض أبو بكر ورداً عليه جواره، فأخذ المشركون يضربون أبا بكر حتى خرج إلى الكعبة، فقام أحد السفهاء بوضع التراب على رأس أبي بكر، فأخذ أبو بكر يقول للوليد بن المغيرة: انظر ماذا يفعل هذا السفية، فيقول له: أنت الذي فعلت ذلك بنفسك، فأخذ أبو بكر يقول: أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك! (سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٠٥، ٣٠٦، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٩).

جهاد أبي بكر رضي الله عنه:

جاهد أبو بكر رضي الله عنه بنفسه وماله في سبيل الله، فقد شهد جميع الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يملك يوم أسلم أربعين ألف درهم، فكان يعق منها ويقوي المسلمين. (صفة الصفوة ج ١ ص ٢٤٢)

عن عمر بن الخطاب قال: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك عندي ما لا أقلل اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك قلت مثله وأتى

أبو بكر بكل ما عنده فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك، قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبداً». (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٠٢). وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر». (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٨٩٤).

أعق أبو بكر رضي الله عنه سبعة كلهم يعذب في الله، منهم بلال، وعامر بن فهيرة. (سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٣)

مناقب أبي بكر رضي الله عنه:

١. عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال: «قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار: لو أن أحدكم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما» (البخاري ٣٦٥٣، ومسلم ٢٣٨١).

٢. عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن من آمن بالله علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر». (البخاري حديث ٢٦٥٤).

٣. عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: «قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: فأتيتك فقلت: «أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعد رجلاً». (البخاري حديث ٣٦٦٤، ومسلم حديث ٢٣٨٤).

٤. عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجع بهم فقال صلى الله عليه وسلم: اثبت أحد فائماً عليك نبي وصديق وشهيدان». (البخاري حديث ٣٦٧٥).

٥. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذان سيّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين» (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٨٩٧).

٦. عن عائشة رضي الله عنها: «أن أبا بكر دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنت عتيق الله من النار فيؤمّد سمي عتيقا» (صحيح

أبو بكر رجل المواقف:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ (مَكَانٍ)، فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَلِكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رَجُلٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: يَا بِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَبًا وَمَيْتًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُدِيْقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ (يعني عمر) عَلَيَّ رِسْلُكَ.. فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمَدَ اللَّهُ أَبُو بَكْرٍ وَأَفْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»، وَقَالَ: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» [آل عمران: ١٤٤]، قَالَ: فَتَشَجَّ النَّاسُ يَبْكُونَ.» (البخاري حديث ٣٦٦٧، وح ٣٦٦٨).

استغلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ قَالَ: «أَتَتْ امْرَأَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ (كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ)، قَالَ: إِنْ لَمْ تَجِدِيْنِي فَاتِي أَبَا بَكْرٍ» (البخاري حديث ٣٦٥٩، ومسلم حديث ٢٣٨٦).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ: ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكَ وَأَخَاكَ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتِمَّنِي مَتَمَّنٍ، وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ» (مسلم حديث ٢٣٨٧).

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا سَأَلَتْ: مَنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْلَفًا لَوْ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا.» (مسلم حديث ٢٣٨٥).

الخلافة الراشدة رضي الله عنه:

أجمع الصحابة على خلافة أبي بكر يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة في سقيفة بني ساعدة، فلما كان من الغد، جلس على المنبر، ليبين للناس المنهج الذي

سوف يسير عليه في خلافته فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فاعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أعيذ الحق له إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضريحهم لله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. (الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ١٣٦، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٤).

تواضع أبي بكر رضي الله عنه بعد الخلافة:

كان أبو بكر رضي الله عنه يحلب للحج أغنامهم، فلما بُويع له بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا يحلب لنا منائح دارنا، فسمعها أبو بكر، فقال: بلى لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهم. (الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ١٣٨: ١٣٩).

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض نواحي المدينة بالليل، فيسقي لها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها، فاصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كيلاً يسبق إليها، فرصده عمر، فإذا هو أبو بكر الصديق، الذي يأتيها وهو يومئذ خليفة. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٥).

علم أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

كان أبو بكر الصديق أكثر الصحابة علماً وذكاءً. روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيْرُ عِبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَجَبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ خَيْرٌ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ الْمُخَيَّرُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمُنَا.» (البخاري حديث ٣٦٥٤، ومسلم حديث ٢٣٨٢).

عن أبي هريرة أن أبا بكر رضي الله عنه قال: [وَاللَّهِ لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي غَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَاتِلَتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا، قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ

وَاللَّهُ يَا رَبَّنَا، إِنَّا لَنُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا، وَعَادَ
لِمُسْطَحٍ بِمَا كَانَ يَصْنَعُ. (البخاري حديث
٤٧٥٧).

أبو بكر يستغلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

لما شَغَرَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه باقترب
أجله استشار عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن
عفان، وعلي بن أبي طالب وسعيد بن زيد وأسيد
بن حضير، وغيرهم من المهاجرين والأنصار،
في استخلافه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه،
فأثنوا عليه خيراً، ثم أوصى عمر بتقوى الله.
(تاريخ الخلفاء ص ٧٦: ٧٧، وحلية الأولياء ج ١
ص ٣٦: ٣٧).

وصية أبي بكر الصديق وحسن خاتمته رضي الله عنه:

قالت عائشة رضي الله عنه لما مَرَضَ أبو بكر،
مرضه الذي مات فيه، قال: انظروا ما زاد في
مالي منذ دخلت الإمارة، فابعثوا به إلى الخليفة
من بعدي، فنظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل
صبيانه، وإذا ناضح - بعير. كان يسقي بستانا
له، فبعثنا بهما إلي عمر بن الخطاب رضي الله
عنه، فبكى عمر، وقال: رحمة الله علي أبي بكر،
لقد آتعب من بَعْدِهِ تعباً شديداً. (الطبقات لابن
سعد ج ٣ ص ١٤٣).

وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه ليلة
الثلاثاء، بين المغرب والعشاء لثمان ليال يقين
من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة،
وهو ابن ثلاث وستين سنة، وأوصى أن تغسله
زوجته أسماء بنت عميس، ويساعدها ابنه عبد
الرحمن، وأوصى أن يُدفن بجوار رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وصلى عليه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ودُفِنَ ليلاً رضي الله
عنه. وكانت مدة خلافة أبي بكر رضي الله عنه
سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ. (الطبقات لابن
سعد ج ٣ ص ١٥٠: ١٥٧).

رَجِمَ اللهُ أبا بكر الصديق رحمةً واسعة، وجزاه
الله عن الإسلام خير الجزاء. نسال الله تعالى أن
يجمعنا بأبي بكر الصديق في الفردوس الأعلى
من الجنة، بحبنا له، وإن لم نعمل بمثل عمله،
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.

لِلْقَتَالِ (أي لقتال المرتدين) فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.
(البخاري حديث ١٤٠٠، ومسلم حديث ٢٠).
قال النووي رحمه الله: استدل أصحابنا على
عَظَمِ علم أبي بكر الصديق، بهذا الحديث.
(تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٨).

وروى ابن الأثير بسنده عن عكرمة بن خالد،
عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه سُئِلَ:
من كان يفتي الناس في زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أبو بكر وعُمَرُ،
ما أعلم غيرهما. (أسد الغابة لابن الأثير ج ٣
ص ٢١٩).

عدد أحاديث أبي بكر رضي الله عنه:

قال النووي رحمه الله: روى الصديق رضي
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مائة حديث واثنين وأربعين حديثاً، وسبب
قلة روايته - مع تقدم صحبته وملازمته للنبي
صلى الله عليه وسلم - أنه تقدمت وفاته قبل
انتشار الأحاديث، واعتناء التابعين بسماعها
وتحصيلها وحفظها. (تاريخ الخلفاء
للسيوطي ص ٨١).

أعمال أبي بكر في خلافته:

إن لأبي بكر الصديق أعمالاً كثيرة في فترة
خلافته القصيرة من أهمها:

١. محاربة المرتدين والقضاء عليهم، وإعادة
الأمن والاستقرار للدولة الإسلامية. (البخاري
حديث ٦٩٢٥، ٦٩٢٤).
٢. جمع القرآن الكريم في مصحف واحد.
(البخاري حديث ٤٩٨٦).
٣. إرسال جيش أسامة بن زيد بن حارثة
لمحاربة الروم؛ تنفيذاً لوصية النبي صلى الله
عليه وسلم. (البداية والنهاية لابن كثير ج
٦ ص ٣٠٨ / فتح الباري ج ٧ ص ٥٨: ٧٠).

غفو أبو بكر الصديق:

كان أبو بكر ينفق على مُسْطَحٍ بن أثانة لفقره
وقربائه منه، وكان مُسْطَحٍ من الذين خاضوا
في حادث الإفك، وتكلم في عرض عائشة، فلما
علم أبو بكر بذلك، أقسم ألا ينفق عليه بعد
ذلك، فأنزل الله تعالى: (وَلَا يَأْتِ الْفَضْلُ مَسْكُورًا
وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتَى أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور: ٢٢) فقال أبو بكر: بلى

المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه في الهجرة

علي حشيش

إعداد

أولاً: متن القصة:

رُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، فجاء عليّ تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله، أخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنت أخي في الدنيا والآخرة». اهـ.

ثانياً: التخرّيج:

أخرج هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية الإمام الترمذي في «السنن» (٥/٥٩٥) (ح ٣٧٢٠) قال: حدثنا يوسف بن موسى القطان البغدادي، حدثنا علي بن قادم حدثنا علي بن صالح بن حيي عن حكيم بن جُبَيْر، عن جميع بن عمير التيمي عن ابن عمر قال: أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه... القصة.

ثالثاً: علة هذا الخبر هو جميع بن عمير:

١- قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/٢٤٢/٢٣٢٨): «جميع بن عمير التيمي من تيم الله، يعد في الكوفيين، سمع ابن عمر وعائشة، روى عنه العلاء بن صالح، وصدقة بن المنثري.. فيه نظر». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند البخاري له معناه، وهذا من دقيق فقه هذه الصنعة: حيث قال الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» (ص ٥٠٤): «وللبخاري في كلامه على الرجال توق زائد، وتحَرُّ بلوغ، يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل، فإن أكثر ما يقول: سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا». اهـ.

ولقد نبه الإمام السيوطي على ذلك في «تدريب الراوي» (١/٣٤٩) حيث قال في «التنبيهات»: «التنبيه الأول: البخاري يطلق: فيه نظر، وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه، ويطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

٢- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٢/١٦٦) (٣٥٤/٢٩): «سمعت ابن حماد يقول قال البخاري: جميع بن عمير التيمي من

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثة للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على السنة القصاص والوعاظ، واغتر الكثيرون بها لوجودها في كتب السنة الأصلية، وروج لها الرافضة في كل مكان ومقال، خاصة في الهجرة، في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار؛ ليجعلوا من هذه القصة الواهية قصة المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه مؤاخاة غير المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهذا الإطراء من الرافضة لعلي رضي الله عنه سببين حقيقته.

ولقد بيّنا من قبل في هذه السلسلة كثيراً من القصص الواهية المتعلقة بالهجرة والتي اشتهرت وانتشرت ويكثر ذكرها في كل عام عند بدء العام الهجري في الصحف والإذاعات والقنوات والخطب والمحاضرات، ومنها حتى يتذكر القارئ الكريم، وليأخذ حذوه منها فلا يغرنه تقلب هذه القصص الواهية.

قصة «ثعبان الغار».

قصة «عنكبوت الغار والحمامتين».

وقصة «غناء بنات النجار في الهجرة».

وقصة «لطم أبي جهل لأسماء بنت أبي بكر في الهجرة».

وقصة «أبي طالب في الهجرة ووصيته للنبي».

وقصة «اللجوء إلى الغار عند الشدائد».

وقصة «تحكيم إبليس في دار الندوة».

وقصة «ثبوت المشرك عند الغار».

وقصة «صعود أبي بكر رضي الله عنه إلى الغار وهو يحمل النبي صلى الله عليه وسلم على عاتقه».

وقصة «النهر الذي خرّق من جنة الفردوس إلى صدر الغار».

ثم هذه القصة: «قصة المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه في الهجرة».

وإلى القارئ الكريم تخرّيج وتحقيق هذه القصة.

الله عنه مرفوعاً. أخرجه الحاكم في «المستدرک» (١٤/٣).

من جمع هذه الطرق يتبين:

- أ- أنها تدور حول جميع بن عمير، وقد عُلم حاله بأنه رافضي يضع الحديث، حتى قال ابن نمير كما بينا آنفاً: «جميع بن عمير من أكذب الناس».
- ب- أن القصة مشهورة شهرة نسبية عن جميع بن عمير؛ حيث رواها عنه حكيم بن جبير، وكثير النوء، وسالم بن أبي حفصة.
- ج- أن حكيم بن جبير تابعه متابعة تامة كثير النوء، وسالم بن أبي حفصة.

خامساً: تعقب المباركفوري للترمذي:

قال الإمام الترمذي في «السنن» (٥٩٥/٥) (ح ٣٧٢٠) بعد إخرجه للخبر الذي جاءت به القصة: «هذا حديث حسن غريب». فتعقبه الإمام المباركفوري في «تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي» (٢٣٣/٩) فقال: «في سنده حكيم بن جبير، وهو ضعيف ورُمي بالتشيع». اهـ.

قلت: وتعقب الإمام المباركفوري للإمام الترمذي فيه نظر:

١- لاقتصاره في تضعيف الخبر الذي جاءت به القصة على حكيم بن جبير وهو لم يتفرد به عن جميع، بل تابعه عليه كثير النوء، وسالم بن أبي حفصة.

٢- قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢٧٩/١): «سالم بن أبي حفصة العجلي، أبو يونس الكوفي، صدوق في الحديث إلا أنه شيعي غال». اهـ.

٣- قول المباركفوري: «حكيم بن جبير ضعيف»، وحكيم بن جبير تابعه سالم بن أبي حفصة في روايته عن جميع بن عمير، وسالم صدوق فيتوهم كثير من الذين يدرسون المصطلح من أصل ونظم ومختصر أن الطريق الذي فيه الراوي الذي قال عنه المباركفوري: ضعيف يقويه الراوي الصدوق الذي تابعه متابعة تامة.

٤- والمتبحر في هذه الصناعة يرى أن تعقب المباركفوري للإمام الترمذي فيه قصور في أمرين:

الأول: عدم ذكره للعلة الأساسية، وهو جميع بن عمير الرافضي الوضاع، وهو من أكذب الناس، فلا يتابع على حديثه، وعدم المتابعة على حديث جميع بينها الحافظ الإمام ابن عدي بعد أن ذكر خبر القصة قال: «ولجميع بن عمير غير ما ذكرته

تيم الله...» قوله الذي ذكرناه آنفاً.

ثم أقره ابن عدي فقال: «وهذا الذي قاله البخاري كما قال: في حديثه نظر، وقد روى عن جميع بن عمير غير من ذكرهم البخاري، حكيم بن جبير، وكثير النوء، وسالم بن أبي حفصة، وغيرهم عن ابن عمر أحاديث في فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ثم أخرج خبر هذه القصة فقال: حدثنا الحسين بن إسماعيل الرملي، حدثنا أحمد بن محمد بن سودة، حدثنا عمرو بن عبد الغفار عن علي بن صالح بن جني، حدثني حكيم بن جبير، عن جميع بن عمير عن ابن عمر قال: «أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فجاء علي...» القصة.

٣- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢١٨/١): «جميع بن عمير التيمي من تيم الله بن ثعلبة من أهل الكوفة، يروي عن ابن عمر وعائشة، روى عنه العلاء بن صالح وصدقة بن المثنى، كان رافضياً يضع الحديث، حدثنا مكحول ببيروت سمعت جعفر بن أبان الحافظ يقول: سمعت ابن نمير يقول: جميع بن عمير من أكذب الناس». اهـ.

قلت: فالخبر الذي جاءت به هذه القصة موضوع.

قال السيوطي في «التدريب» (٢٧٤/١): «الموضوع هو الكذب المختلق الموضوع، وهو الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقروناً ببيان وضعه؛ لحديث مسلم: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين». اهـ.

رابعاً: طرق أخرى للقصة:

لقد أوردنا الطريق الأول وبينناها آنفاً: طريق حكيم بن جبير، عن جميع بن عمير، عن ابن عمر مرفوعاً: أخرجه الترمذي في «السنن» (٥٩٥/٥) (ح ٣٧٢٠)، وابن عدي في «الكامل» (١٦٦/٢) (٣٤٥/٢٩)، والحاكم في «المستدرک» (١٤/١٣).

الطريق الثاني عن كثير النوء عن جميع بن عمير، عن ابن عمر مرفوعاً أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٦٦/٢).

الطريق الثالث عن إسحاق بن بشر الكاهلي عن محمد بن فضيل عن سالم بن أبي حفصة عن جميع بن عمير التيمي عن ابن عمر رضي

الكذاب، أما هذا الطريق فيضعف أيضاً بكثير النواء، ولقد أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٠٢/٣) وقال: «كثير بن إسماعيل النواء أبو إسماعيل شيعي جلد ضعفه أبو حاتم، والنسائي، وقال ابن عدي: مفرط في التشيع، وقال السعدي: زائف». اهـ.

الطريق الثالث: طريق سالم بن أبي حفصة عن جميع بن عمير التيمي عن ابن عمر مرفوعاً. وهذا الطريق تالف أيضاً من الأصل بالعلة الأساسية جميع بن عمير الكذاب الرافضي، فلا يغتر من لا دراية له معتمداً على تحقيق المباركفوري في شرحه لسنن الترمذي للقصور الشديد كما بيناه آنفاً، واقتصراره على حكيم بن جبير، وقصوره الشديد لعدم بيان درجة ضعفه.

ولا يغتر من لا دراية له بدقيق فقه هذه الصنعة بقول الحافظ ابن حجر في سالم بن أبي حفصة صدوق؛ فالطريق إليه تالف، حيث إن فيه إسحاق بن بشر الكاهلي، يبين ذلك الإمام الذهبي في «الميزان» (١٨٦/١) (٧٤٠/١) قال: إسحاق بن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي الكوفي، قال مطين: «ما سمعت أبا بكر بن أبي شيبة كذب أحداً إلا إسحاق بن بشر الكاهلي، وكذا كذبه موسى بن هارون وأبو زرعة. وقال الفلاس وغيره: متروك، قال الدارقطني: هو في عداد من يضع الحديث. اهـ.

قلت: وقال ابن عدي في «الكامل» (٣٤٢/١) (١٧٢/١٧٢): بعد أن ذكر أحاديث من مناكيره قال: «إسحاق بن بشر الكاهلي، قد روى غير هذه الأحاديث، وهو في عداد من يضع الحديث». اهـ. قلت: يتبين عن هذا التحقيق أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة قصة المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه في الهجرة خبر تالف بجميع طرقه من كذابين ومتروكين زائفين مفرطين في التشيع.

فلا يغتر أحد بكثرة الطرق، وليعلم أن تقوية الحديث بكثرة الطرق ليس على إطلاقه، ولا بد من جمع الطرق والتدقيق عند التحقيق في معرفة درجة ضعف الرواة، كما بينا آنفاً؛ حيث يتبين أن طرق القصة لا تقوى بها، بل تزيدنا وهنا على وهن، وبسبب عدم معرفة هذه القاعدة زلت أقدام وضلت أفهام؛ فتأمل لتسلم في الإسناد والاعتقاد.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

عن ابن عمر... وعامة ما يرويه أحاديث لا يتابعه غيره عليه». اهـ.

الثاني: قول الإمام المباركفوري: «حكيم بن جبير ضعيف» لم يبين فيه درجة الضعف، وهذا عند المتبحر في هذه الصناعة أمر مهم؛ حيث قال السخاوي في «فتح المغيث» (٢٤١/١): «فإن يكن ذلك الراوي شورك من راو معتبر به: بأن لم يَنْهَم بكذب وضَعْف إما بسوء حفظه، أو غلظه، أو نحو ذلك حسبما يجيء إيضاحه في مراتب الجرح والتعديل، أو ممن فوّقه في الوصف من باب أولى، فهو تابع حقيقة». اهـ.

قلت: مما أوردها يتبين أهمية معرفة درجة ضعف الراوي، حتى نقف على حقيقة الراوي، خاصة إذا كان متابعاً أو تابعاً لنعرف هل الراوي معتبر به ليكون تابعاً حقيقة، أو غير معتبر به فيكون تابعاً ظاهرياً لا يؤثر في درجة الحديث.

سادساً: بيان درجة ضعف حكيم بن جبير:

قال الإمام ابن عدي في «الكامل» (٢١٦/٢) (٤٠٢/٣):

١- «سمعت بن حماد يقول: قال سمعت ابن حماد يقول: قال السعدي: حكيم بن جبير كذاب». اهـ.
٢- قال ابن عدي: «حدثنا ابن حماد وابن أبي بكر قالا: حدثنا عباس قال: سمعت يحيى يقول: حكيم بن جبير ليس بشيء».

٣- وأورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٢٢١٥/٥٨٤/١) ونقل عن الجوزجاني أنه قال: «حكيم بن جبير كذاب». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن حكيم بن جبير كذاب ليس بشيء، فأين هذا البيان من تعقب المباركفوري للإمام الترمذي بقوله: «حكيم بن جبير ضعيف»، والضعف عند المتبحر في هذه الصناعة يتفاوت، ولقد بين ذلك الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» المشهور «الباعث الحثيث» (ص ٣٣) حيث قال: «لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسناً؛ لأن الضعف يتفاوت، فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعاً أو متبوعاً كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن هذا الطريق تالف لا يصلح للمتابعات ولا الشواهد.

الطريق الثاني: وهو طريق كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر مرفوعاً هذا الطريق تالف من الأصل بالعلة الأساسية جميع بن عمير



مواقفة الأشعري - في إثبات صفات الخالق دون ما تفويض ولا تأويل -

قوله: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (القصص / ٨٨)،
وباب قوله: (وَلْيُصْنَعْ عَلَى عَيْنَيْهِ) (طه / ٣٩)، وباب
قوله: (لَمَّا خَلَقْتُ بَدَنَهُ) (ص / ٧٥)، وباب قول النبي:
(لا شخص أغبر من الله)، وباب قوله تعالى:
(وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) (هود / ٧)، وباب قوله:
(إِنَّ اللَّهَ يُصِيفُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) (فاطر / ٤١)..
إلخ.

يذكر في كل باب مجموعة من الأحاديث التي فيها
الصفة التي بَوَّبَ لها، بما يفيد إثباتها لله تعالى،
وإمرارها دون تكيف في كنهها، ولا تأويل أو
تفويض في دلالاتها.. وكذا فعل مسلم في صحيحه
والنسائي في سننه، وأحمد في المسند، وغيرهم
من أصحاب السنن والمسانيد.

وينحو ما فعل المحدثون فعل الذين صنّفوا في
العقيدة من المتقدمين، فذكروا الأحاديث والآثار
التي تتعلق بالصفات ضمن أبواب في رسائلهم
وكتبهم، حتى إن بعضهم كابن خزيمة أطلق على
كتابه اسم: (كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب
عز وجل)، وضمنه باباً في (إثبات الوجه لله)،
وباباً في (إثبات العين لله جل وعلا)، وباباً في
(إثبات اليد للخالق جل وعلا)، وباباً في (إثبات
الأصابع لله عز وجل)، وباباً في (ذكر إثبات
الرّجل لله عز وجل)، وباباً في (ذكر استواء
خالقنا العليّ الأعلى)، وباباً في (بيان أن الله عز
وجل في السماء)، وباباً في (أخبار نزول الرب
إلى السماء)، وباباً في (إثبات ضحك ربنا عز
وجل)..
وبمثل فعل البيهقي؛ حيث ذكر ضمن ما ذكر
(باب في إثبات صفة الوجه.. العين.. اليدين..
باب ما ذكر في اليمين والكف.. في الأصابع.. في
الساعد والذراع.. في الساق.. في الضحك.. في
الغيرة.. في التقرب والإتيان والهرولة.. إلخ).

مصنّفات في العقيدة السلفية:

ومن المصنّفات التي جاءت على هذه الوتيرة
مما صنّف في العقيدة السلفية: كتاب (الرد على

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإن أمر إثبات الصفات دون ما تشبيه أو تجسيم
أو تمثيل، ولا تفويض لمعانيتها ولا تأويل، ولا
تكيف لها ولا تعطيل، ولا صرف لها عن ظاهرها
إلى المجاز.. لم يكن أبو الحسن الأشعري فيه
بدعاً من سائر أهل التحقيق من علماء المسلمين
وأئمتهم.

وقد رأينا كيف أنه رجع بهذا المعتقد الصحيح
في توحيد الصفات عما كان عليه من قبل، برؤيا
صالحة وبإيعاز من النبي صلى الله عليه وسلم،
وهذا بحد ذاته يعد كرامة له، ومباركة من النبي
صلى الله عليه وسلم للسير قدماً على نهج
العقيدة الصحيحة، وبشارة لأئمة بضرورة أن
تموت عليها وتحيا عليها دون أن تبغي بها بدلاً
أو عنها حولاً، لاسيما وأن رؤياه صلى الله عليه
وسلم حق، وأن الشيطان لا يتمثل في صورته.

والحق أن كتب السنة والاعتقاد مليئة بأحاديثه
صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالكلام عن ثبوت
علوه تعالى وفوقيته ونزوله وضحه، ويده
وعينه وأصبعه وقدمه.. إلى غير ذلك مما
وصف الله تعالى به نفسه من الصفات الفعلية
والخبرية، بل ومليئة بذكر أبواب بأكملها بُوتت
لكل صفة منها على حدة، وفيها جميعاً - من
التدليل على صحة ما رجع إليه الأشعري وتلقاه
الصحابة وعموم سلف الأمة عن النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك - ما يكفي وما به تقام الحجة
الرسالية على المفوّضة والمؤولة.

الأسماء والصفات عند المحدثين:

لقد بوب المحدثون في كتبهم لأحاديث الصفات
بما يفيد إثباتها، والوقوف على دلالاتها،
وتفويض كيفياتها إليه تعالى، فذكر البخاري في
آخر صحيحه في (كتاب التوحيد) ضمن ما ذكر:
باب قول الله عز وجل: (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا
فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) (المائدة / ١١٦)، وباب

سنن الأشعري في توحيد الصفات

د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

إعداد

وقوله في الحديث المتفق عليه: (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة).. وقوله فيما أخرجه البخاري: (يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟)، وفي أخرى ذكرها البخاري أيضاً: (يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بيده الأخرى يأخذهن)، وفي الثالثة: (يقبض الله سماواته بيده والأرض باليد الأخرى، ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك).

كما نرمق ما ذكرنا في قوله صلى الله عليه وسلم فيما أورده البخاري: (يمين الله ملامى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغيض مما في يمينه)، قال: (وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض، يرفع ويخفض)..

وفي ضحكه صلى الله عليه وسلم من قول الحبر الذي جاءه يقول: (يا محمد، إن الله جعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيهزهن فيقول: أنا الملك)، قال ابن مسعود راوي الحديث فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواحيه تصدقاً لقول الحبر، ثم قال: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَنَهُ، وَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزمر/ ٦٧) [أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما].. فكل هذا وأضعافه وأضعاف أضعافه من النصوص الصحيحة الصريحة في ثبوت اليد وما شابهها لا يمكن أن يكون مجازاً وليس معه قرينة واحدة تبطل

الجهمية) للدارمي، ونحوه للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب (السنة) لكل من عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل، وابن أبي عاصم، وأبي بكر الخلال، وأبي بكر الأثرم، وكتاب (الشريعة) للأجري، وكتابا (الإبانة الصغرى والكبرى) لابن بطة، و(الصفات) للدارقطني، وكتابا (التوحيد) و(الإيمان) لابن منده، وكتاب (شرح أصول السنة) للالكائي، وكتابا (الاعتقاد) و(الأسماء والصفات) للبيهقي، و(النصيحة) لإمام الحرمين الجويني، وكتاب (الأربعين في دلائل التوحيد) للهروري، و(الأسماء والصفات) و(الإكليل في المتشابه والتأويل) ورسائل (الحموية) و(التدمرية) و(الأكمالية) و(المدنية) وغيرها لابن تيمية، و(اجتماع الجيوش الإسلامية) لابن القيم، و(العلو) لكل من الذهبي وابن قدامة المقدسي.. فجميع هذه المصنفات وغيرها، تكلمت في صفات الله سبحانه ولم تذكر إلا ما يدل على إمرار كيفياتها، وعلى إثباتها دون تأويل يُخرجها إلى المجاز، ودون تشبيه منه صلى الله عليه وسلم ولا تمثيل ولا تجسيم ولا تعطيل، وليس فيها ما يدل على خلاف ذلك.

نلاحظ هذا في قوله صلى الله عليه وسلم مثلاً في حديث مسلم: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)، وقوله فيما أخرجه: (المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين)، وقوله في حديث الشفاعة: (فأقوم عن يمين الرحمن مقاماً لا يقومه غيري)، ونحوه قوله: (وعندي ربي أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف)، فقال أبو بكر: زدنا يا رسول الله، قال: (وثلاث حثيات من حثيات ربي)، فقال عمر: حسبك يا أبا بكر، فقال أبو بكر: دعني يا عمر، وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا، فقال عمر: إن شاء الله أدخل خلقه الجنة بكف واحدة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صدق عمر) [قال الألباني: صحيح على شرط مسلم]، فصدقه في إثبات الكف لله وسعتها وعظمتها..

إثبات الصفات ونفي المجاز:

وفي أوجه الدلالة لما ذكر، نجده صلى الله عليه وسلم قد ذكر القبض والبسط، والطي والهز، والخفض والرفع، واليمين والحث، والأخذ والإمساك باليد، والوقوف عن يمين الرحمن، والكف، ووضع السموات على إصبع، والجبال على إصبع.. إلخ، ثم لما أخبرهم ببعض ذلك جعل يقبض يديه ويبسطهما، تأكيداً منه أن ذلك حقيقة لا مجاز وتحقيقاً لمعنى الصفة لا تشبيهاً لها.. كما أنه صلى الله عليه وسلم قد ذكر إحدى اليدين وقال: (وبيده الأخرى).

وكل هذا يمتنع معه أن تكون اليد مجازية، سواء كانت بمعنى القدرة أو بمعنى النعمة، فإنها لا يُتصرف فيها هذا التصرف إلا وهي على الحقيقة على ما تشهد به لغة العرب، فإنه إذا قيل: (قبض بيده وأمسك بيده)، أو (قبض بإحدى يديه كذا وبالأخرى كذا) و(جلس عن يمينه)، أو (كتب كذا وعمله بيمينه أو ببيده)، فهذا لا يكون إلا حقيقة، بخلاف اليد المجازية فإنها إذا أريدت لم يقترن بها ما يدل على اليد الحقيقية، بل ما يدل على المجاز كقولهم: (له عندي يد)، و(أنا تحت يدهم) ونحو ذلك.. وإلا فكيف - للقائلين بصرفها على الإطلاق - بما في نحو قوله تعالى: **(وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَعْظُمُ يَمِينُكَ)** (العنكبوت/ ٤٨)، وقول ابن عمر: (وإن الله لم يباشر بيده أو لم يخلق بيده إلا ثلاثاً: خلق آدم بيده، وغرس جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده)؟، وأنى لهم في أي نقل أو عقل أو منطق أو ملة أو فطرة أو دين أو شريعة أو قانون أو مبدأ أو أصل أو قاعدة أن يكون معنى الآية: (وما كنت تتلو من كتاب ولا تخطه بنعمتك أو بقدرتك)، أو أن يصح أن يقال أن المراد من الأثر: (لم يخلق بقدرته أو بنعمته إلا ثلاثاً)، بينما الخلق كله بقدرته، وأي فضيلة لآدم وقد خلق تعالى إبليس بقدرته أيضاً؟ [ينظر مختصر الصواعق ص ٤٢ وما بعدها].

وأنى لهم حمل اليد في الآية الكريمة: **(لَمَّا خَلَقْتَ بِيَدِي)** (ص/ ٧٥) على القدرة أو النعمة، وقد نسب سبحانه فيها الخلق لنفسه، ثم عدى الفعل إلى اليد، ثم ثناها، ثم أدخل عليها الباء

التي تدخل على نحو قولنا: (كتبت بالقلم)؟، وكيف يتسنى أن يكون المعنى: (لما خلقت بقدرتي أو نعمتي) مع ما أجمعوا عليه من أن له سبحانه قدرة واحدة وأن نعمه على خلقه لا تُعد ولا تُحصى، وعلى استحالة خلق المخلوق بمخلوق، لكون النعم كلها مخلوقة، بل ومع ما هو معلوم من أن المستعمل في يد القدرة أو النعمة أن تكون مجردة عن الإضافة، وعن التثنية وعن نسبة الفعل إليها، ومع ما هو معلوم كذلك من أن استعمال: (يمين الرحمن)، و(كلتا يديه يمين) السابق ذكرهما في الحديث لا يقال فيه: (يد النعمة والقدرة)؟.

منهج الصحابة في إثبات الأسماء والصفات:

على أن الصحابي الجليل وهو ابن مسعود، الذي روى خبر اليهودي وضحك النبي صلى الله عليه وسلم وبدو نواجذه تصديقا لهذا الخبر، ما فهم مما أقره رسول الله في ذلك إلا أصبغاً تليق بجلاله سبحانه، وما خطر بباله قط أن وصف الأصبع له تعالى الذي ورد على لسان اليهودي جارحة، أو جاء على سبيل التشبيه أو التجسيم، ولا تأوله ولا قال بإخراجه عن ظاهره..

كما أن الصحابة الذين رَووا عنه صلى الله عليه وسلم قوله فيما أخرجه مسلم وغيره: (ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن؛ إن شاء يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاعه)، هم من فهموا عن يقين أن لفظ (بين) لا تقتضي المخالطة ولا المماساة والملاصقة لغة ولا عقلاً ولا عرفاً، بل هو - ولله المثل الأعلى - كما في قول الله تعالى: **(وَالسَّحَابُ الْمُسَنَّيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)** (البقرة/ ١٦٤)، وهو - يعني: السحاب - لا يلاصق السماء ولا الأرض.

وها هو ذا صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم عن جابر، يعلن على الملأ في خطبته يوم عرفة: (ألا هل بلغت؟)، فقالوا: (نعم)، يقول جابر: فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إليهم، ويقول: (اللهم اشهد).. ويروي عنه أبو داود والترمذي وصححه من طريق عبد الله بن عمرو قوله صلى الله عليه وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء).. وها هو ذا يخاطب أصحابه - وهم

امراة وهو يسير مع الناس فيقف لها ويصغي إليها حتى ما قضت حاجتها وانصرفت، فإذا رجل يقول له: (يا أمير المؤمنين حبست رجلاً من قريش على هذه العجوز)، فيقول له: (ويلك تدري من هذه؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضرني صلاة فاضليها، ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها).. وذلك حبر الأمة ابن عباس يقول: (ينادي مناد بين يدي الساعة: أتتكم الساعة، فيسمعه الأحياء وأموات، ثم ينزل الله إلى السماء الدنيا).. وهذا ابن مسعود يقول فيما صح إسناده: (العرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم).. وذا عدي بن عمير رضي الله عنه يحكي لحظة إسلامه وما كان من جمهرة الصحابة فيقول: (خرجت مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم)، فذكر قصة طويلة وقال: (فإذا هو - يعني محمداً صلى الله عليه وسلم - ومن معه يسجدون على وجوههم، ويزعمون أن إلههم في السماء، فأسلمت وتبعته).. وذلك ابن رواحة يقول:

شهدت بأن وعد الله حق

وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف

وفوق العرش رب العالمينا

وتحملة ملائكة شداد

ملائكة الإله مسومينا

فهل تحتمل هذه العبارات - وأمثالها كثير - وكلها قد خرجها الذهبي في (العلو) وابن القيم في (اجتماع الجيوش) وغيرهما بأسانيد صحيحة - معان غير التي وضعت لها؟.. أو يفهم منها أحد غير ما يفهم منها العامة والخاصة، فيتناول هذه الصفات على غير ما هي له!! ولا يثبت لله فوقية ولا علواً بذاته يليقان بجلاله، فيكذب النبي صلى الله عليه وسلم أو من نزل الوحي عليهم؟.. أو يتهم أيًا بالتجسيم والتشبيه، وبأنه قد أخرج هذه الصفات عن ظاهر معناها إلى مجاز؟.. اللهم لا..

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

من هم عربية وفصاحة - بقوله: (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً)، وبقوله: (والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها)، وبقوله: (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي)، وبقوله: (ينزل ربنا كل ليلة إذا مضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟)، وبقوله: (إذا كان يوم القيامة نزل الرب إلى العباد)، وبقوله: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب.. الحديث)، والأحاديث في مسلم.. ويحدث سعد بن وقاص قائلًا: (لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات).

فهل ينكر عاقل أن يكون رب العزة الذي تكلم عنه رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه العبارات المختلفة - (يرفع أصبعه إلى السماء ويقول: اللهم اشهد)، (من في السماء)، (الذي في السماء) (الملك من فوق سبع سماوات) (عنده فوق العرش) (ينزل ربنا كل ليلة) (نزل الرب إلى العباد) (لا يصعد إليه إلا الطيب) - على غير ما ذكر، فيكون - سبحانه وحاشاه - بذاته تحت الأرض وفي الحشوش وفي بطون الأمهات وأماكن القذر، وهل يظن عاقل برسول الله أنه بهذا الذي صح عنه - بأبي هو وأمي - يجسم أو يشبه، أو يفوض أو يؤول، أو يفعل ذلك أيًا من أصحابه!!

ثم ها هي زوجه صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش - تفاخر باقي زوجاته رضي الله عنهن جميعاً فتقول والحديث في البخاري: (زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات).. وهذا حبيبه صلى الله عليه وسلم وخليفته من بعده، يحكي عنه البخاري في تاريخه أنه لما قبض رسول الله دخل فاكب عليه وقبل جبهته وقال: (بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتاً)، وقال: (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء، حي لا يموت).. وهذا عمر الفاروق، تستوقفه

التربية وبناء الأمة

د. أحمد فريد

إعداد /

الحلقة الأولى

الأهمية، فهي تحتاج إلى المزيد من الدراسات والبحوث ومراجعة الأوضاع القائمة وغربلتها.

وأما حين تكون مرحلة العواطف الجياشة والحماسة المتأججة نهاية المطاف ومنتهى الغايات، فتصاغ البرامج التربوية للوصول بها وتحقيقها فحسب، فلن تحقق الدعوة غايتها. [التربية الجادة ضرورة (٨، ٧)].

أهمية الجانب التربوي في الدعوة:

فمن أهم ما تبذل فيه الحيات، وتنفق فيه الأوقات، وتهتم به الدعوات: الجانب التربوي في الدعوة فبه يتجدد نشاطها، وتتفتح زهراتها، وتطيب ثمراتها، فالتربية تصحح العقائد، وتعمق المفاهيم الصحيحة، وتغرس الأخلاق النبيلة، وينشأ الصغار على ما درج عليه الكبار.

قال بعض السلف: لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى ينصلح الآخر.

وهل قامت دولة الإسلام، وارتفع دين الملك العالم إلا بتربية الصحابة الكرام على يد المربي الأول الذي تشرفت البشرية برويته، واستضاءت المعمورة ببركة دعوته، فقد كان أكبر هم النبي صلى الله عليه وسلم تربية الصحابة الكرام بدار الأرقم بن أبي الأرقم بالقيام والصيام وتلاوة القرآن، حتى صاروا أقمار هداية وشموس ضياء، وصار الواحد منهم إذا أرسل إلى ناحية أضاءها، كما أرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة قبل الهجرة النبوية المباركة، وبعد سنة واحدة لم يبق في المدينة بيت إلا وقد دخله الإسلام، إما أمن كله أو بعضه، وفتح المدينة بالقرآن، ومهدا لأن تكون دار الهجرة والإيمان.

فهذه مقدمة في التربية وأول الغيث قطرة، أسأل الله تعالى أن يوفق المؤسسات الإسلامية، وجماعات الدعوة، والدعاة إلى القيام بواجبهم في تربية الأمة، حتى تنهض من كبوتها، وتعود إلى سالف عزتها وكرامتها.

والله الموفق والمستعان.

ومجلة التوحيد ترحب بالدكتور أحمد فريد وهو يطل على قرائها في بابهِ الجديد ونسال الله له التوفيق والسداد.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أطيب المرسلين.

فلا شك أن الأمة تتطلع إلى فجر جديد، يعود فيه الإسلام والمسلمون إلى مكانتهم الطبيعية في القيادة والسيادة، فتسعد بهم البشرية، وتخرج من ظلمات الشرك والشبهات والشبهات إلى نور التوحيد ومنهج الأنبياء الذي يتكفل بإسعادهم في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: «مَنْ أَتَعَ هَذَا فَلَا يَصِلْ وَلَا يَشْفَى» [طه: ١٢٣]. وكذا يخرجون من ضنك المعاصي وشقاء الشهوات والشبهات: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا» [طه: ١٢٤]. المنهج الإسلامي ينهض بالناس من اللهث خلف الشهوات الوهمية والبهيمية، ويرتقي بهم إلى أفق السعادة بالعبادات وتوحيد رب الأرض والسماوات.

الأمة الإسلامية تحتاج إلى الاستغناء عن القوانين الوضعية المستوردة من الغرب الكافر والشرق الملحد، فقد أغناها الله عز وجل بشريعة الإسلام الكاملة الشاملة، ونزل على النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة يوم عرفة: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة: ٣]. وقال تعالى: «وَأَن أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ مِنَّا أُنْزِلَ إِلَهُهُ وَلَا تَنفَعُ أَمْوَأُهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَن يَقْتُلُواكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ إِلَهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَدْعُو أَن يُبَيِّدَهُمْ بِسَبْعِ دُجُوبٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ» [فصلكم المجهلة يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ] [المائدة: ٤٩ - ٥٠].

الأمة تحتاج إلى الخروج عن التبعية للغرب والنظام العالمي الجديد، وأن تستقل بفكرها، وأن تتحول من أمة تابعة إلى أمة متبوعة، ومن شعوب مهزومة إلى شعوب منتصرة، ومن حضارة متخلفة إلى حضارة متقدمة.

التربية الجادة ضرورة:

يقول الدكتور محمد الدويش: «ومن ثم فالمشروع الإسلامي ما لم يأخذ على عاتقه إعادة صياغة متكاملة للفرد والمجتمعات الإسلامية في التفكير، والتصورات والقيم، والموازين، فهو عاجز عن تحقيق الهدف الذي يسعى إليه».

وهذا التغيير وإعادة الصياغة يحتاجان جهداً تربوياً ضخماً، من الدعاة والمصلحين، وجهداً لتربية مجتمعات المسلمين، ومن ثم كانت التربية الجادة ضرورة.

وحيث تتبوأ التربية هذه المنزلة وترقى إلى هذه

قوا أنفسكم وأهليكم نارا

د. أبو الفتوح عقل

إعداد

العملية بين أخلاق وأداب وأحكام الشريعة الإسلامية وبين أبنائهم؛ تنبيهها وإرشادها، وأداء عملياً، مع التأكيد الدائم على صبغة كل خلق أو حكم بالصبغة الشرعية، والمفترض أن يكون كل منا سواء في بيته أو خارجه سفيراً مخلصاً للإسلام، وممثلاً أميناً لأخلاق هذا الدين العظيم الذي شرفنا الله بالانتماء إليه، عندها يعظم شأن الرجل في عيني أبنائه، وبكفيه عند ذلك القليل من النصيح والإرشاد، وحينها أيضاً سيعيش الوالدان عيشاً كريماً بين أبنائهم ممتعين بأعلى درجات التقدير والاحترام.

رابعا ننصح بالأسلوب الأمثل في معاملة الزوج لزوجته، وإيثار لغة الاحترام والمودة حتى تظل للزوجة مصداقيتها في التوجيه والمتابعة؛ إذ أن مهمة الزوجة في بيت زوجها لا تقل أهمية عن دور الزوج، ولا أدل على ذلك مما ورد في سورة الأحقاف؛ حيث يقول الحق عز وجل: «وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِي لَكُمْ أَعْدَاءٌ أَنْ أَخْرِجَ قَدْ خَلَّى الْفُرُونَ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِيتَانِ اللَّهَ وَبِئْسَ مَا يَنُكِّلُ اللَّهُ فَفِي قَوْلٍ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ» [الأحقاف: ١٧].

كانني الآن أرى الوالدين يجلسان أمام ولدهما الذي يعاني فساداً في العقيدة؛ حيث إنه لا يؤمن باليوم الآخر، وقد وصل الأمر بهما إلى حالة الاستغاثة بالله عز وجل حتى يؤمن ويكون عوناً لهما وحتى تستقر العقيدة الصحيحة في صدر الغلام، وبهذا يظهر لنا بوضوح تام أن الأسرة وخاصة الأبوين مسئولة عن تصحيح أمور العقيدة، ولهذا ننصح كما نصح الإسلام بضرورة معرفة المرأة بأمور دينها؛ حتى تكون قادرة على إسداء النصيح في حينه، وحتى تكون مهية للرد على أسئلة أبنائها على نحو مقنع يكسبها لدى أبنائها مزيداً من التقدير والثقة، وبهذا تشارك سيدة المنزل في أعظم مشروع في العائلة المسلمة.

نقول ذلك، ونحن لا ننكر أنها المعلم الأول في حياة أبنائها في أخطر مراحل العمر، وهي التي تشكل الصفحات الأولى في القاموس اللغوي لدى كل منهما، وإلى جوارها يقف الولد مقلداً إياها ومؤتماً بها يصلي كما تصلي.. (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَنْزَلِكَا وَزِدْنَا نَفَرَ أَعْلَمَ وَآجَعْنَاكَ لِلْغَيْبِ أَمَانًا) [الفرقان: ٧٤].

وللحديث بقية. والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد.

فإن نعمة الولد يعرف قيمتها من شرح الله صدره، كما يعرفها من عانى الحرمان منها، فسبحان من ﴿لَيْسَ نَفْسًا إِنْسَانًا وَهِيَ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَرُ ۖ أَوْ يَرْجُوهُمْ ذَكَرًا وَنَسَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً﴾ (الشورى: ٤٩ - ٥٠).

ولكي تكون هذه النعمة لنا لا علينا، ولكي يكون الولد ذخراً لوالديه في الدنيا والآخرة، وبأنا من أبواب الجنة، وحجاباً لهم من النار يوم القيامة؛ فإن الأمر يحتاج إلى جهود كبيرة يقدمها الوالدان وفق منهج الإسلام في تربية وتنشئة أبنائه، أجملها ربنا تبارك وتعالى في تعبير معجز في سورة التحريم، فقال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» [التحريم: ٦]، وبهذا يحدد القرآن الكريم أهم المهام التي عهد بها للأبوين تجاه الأبناء؛ حتى لا تتسهم النار، بل إن الأمر يتسع ليشمل أهل بيته الأقربين، ومن سهل عليه إبلاغهم أحكام شريعة الرحمن تبارك وتعالى، وذلك يعني أن نهتم بكل ما من شأنه أن يباعد بين أبنائنا وبين النار.

وأول هذه المهام: الإطعام من الحلال؛ فإن كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به، وإنه من أعظم الأمانات - كما في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» [النساء: ٥٨] - أن يطعم الرجل أهله من الحلال؛ فإن إطعامهم من الحرام يعد خيانة عظمية لأهم الأمانات، وإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، فإذا حرص المسلم على أن ينشأ لحم ولده من الحلال، فإن أبنائه سيعلمون ذلك حتى وهم في مرحلة الصبا، وسيظل أبوهم موضع حب واحترام بينهم إلى آخر يوم في عمره، وبكفيه دعاؤهم له صباح مساء ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَّ صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، أو يردد أحدهم: «رَبَّنَا أَغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ» [إبراهيم: ٤١].

ثانياً: تأتي النشأة الإسلامية الصحيحة، وأساسها التنشئة على حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وهو أمر ميسور في مرحلة الطفولة والصبا قبل أن تزداد أعباؤهم الدراسية.. حبذا لو تعهد الوالد أبنائه بمراجعة المحفوظ بأسلوب منظم؛ حتى لا يتفقت القرآن من صدر أبنائه، وليبذل في ذلك ما يستطيع من أساليب التشجيع والمكافأة.

ثالث هذه الركائز أن يكون الوالدان هم الوساطة

بها أرغبهم فيها، الفائز من أعرض عنها، والهاك من رغب فيها، قال صلى الله عليه وسلم: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء». [صحيح الجامع: ٥٢٩٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خُصًا لنا، فقال: «ما هذا؟» فقلنا: قد وهى، فنحن نصلحه، فقال: «ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك». [صحيح سنن أبي داود رقم ٤٣٦٢]. معنى: الخُص: بيت من خشب وقصب، سُمي خُصًا لما فيه من الخصائص وهي الفرج والثقب.

فياكم - إخواني - والاعتذار بزهرتها، فقد اغتر قوم قبلكم فأوردتهم موارد العطب، أبهرتهم برونقها فما أفاقوا إلا وهم في عداد الموتى، وقتها تدوي الصبحات وتسكب العبرات، قال الله تعالى: «حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا كُنْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢﴾» [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وقال تعالى: «وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْفَكَ حَدَّكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا فَتَرَكْتُ إِلَهُ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» [المنافقون: ١٠، ١١].

فاحذر - أخي - الاعتذار بالسلامة والإمهال، ومتابعة غرور المني والأمال، وكل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت، واعمل لأخركت يكفك الله أمر دنياك، وبع دنياك بأخركت تريحهما جميعاً، قال صلى الله عليه وسلم: «من كانت همه الآخرة، جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وآتته الدنيا راغمة، ومن كانت همه الدنيا، فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت به الدنيا إلا ما كُتب الله له» [صحيح الجامع رقم: ٦٥١٦].

يقول يحيى بن معاذ: «العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه».

فالدنيا معبر ينبغي للإنسان ألا ينافس بلذاتها، وأن يعبر الأيام بها، ولا يامن التحول منها، يقول صلى الله عليه وسلم: «وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها». [متفق عليه: البخاري: ٣٢٠٨، ومسلم: ٢٦٤٣].

كيف يتقلب العبد على طول الأمل؟

والعاقل حقاً من تغلب على طول الأمل بتذكر الموت، وإن زيارة المقابر، وتغسيل الموتى، وعيادة المرضى، توقظ القلوب وتذكر بالمصير المحتوم، وإن

كؤوس التسويف لن تسقيك سوى ندامة تتجرع مرارتها، فبادر بإطفاء ما أوقد من نيران الذنوب، فدمعة القائب تطفئ نار الغضب، وامحُ بالتوبة زلتك، وإذا أصبحت فتامل ما مضى من ليلتك، فالليل والنهار يقربان كل بعيد، ويأتیان بكل موعود، والمؤمن بين مخافتين: أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقى لا يدري ما الله قاضٍ فيه.

كم من حسرات في بطون المقابر؟

وفي مطلع العام تستفتح صفحات من الأعمال بيضاء، لا يدري العبد ماذا يُسطر فيها، ويروح إلى أجل قد غيب عنه علمه، فنصيب الإنسان من الدنيا عمره، فإن أحسن اغتنامه فيما ينفعه في دار القرار فقد ربحت تجارته، وإن أساء استغلاله وأكثر من المعاصي والسيئات بارت بضاعته، وكم من حسرة أتت تحت الثرى؟

والرشيد من حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله، والموفق من اغتنم وقته، وعرف دواءه من دافئه، ولم يهمل فيهمّل، ودع عنك الذنوب فترك الذنب أيسر عليك من طلب التوبة، ولا تدع ذنباً يخلف ذنباً، ولقد علم السلف أن الخير كله بحذافيره في الجنة؛ فادلجوا في السير إليها، والشر كله بحذافيره في النار فاجتهدوا في الهرب منها، وإن الحياة ميدان فسيح لصالح الأعمال، وها أنتم أنزلتم إلى عام جديد وقد ودعتم عاماً من العمر مضى بما أودعتموه من عمل، والسعيد من استودع مدة عمره صالحاً من عمله، والشقي من شهدت عليه جوارحه بقبيح معاصيه، فاحفظوا أيام أعماركم قبل تفردكم في قبوركم، واغتنموا أيام حياتكم قبل الفوات، وأكرموا نزل عامكم الجديد بالطاعات، وأروا الله من أنفسكم خيراً.

قال علي رضي الله عنه: «إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل».

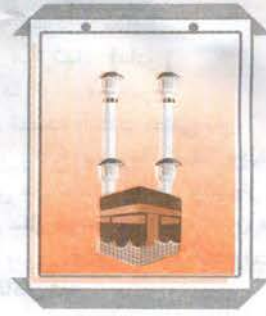
نسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجعله عام خير وبركة ونصر للإسلام والمسلمين في كل مكان، وعام ذل وهوان لأعداء الإسلام والمسلمين، ونسأله سبحانه أن يجعل منه عام يقظة وهمة، ونقطة تحول وفتح لصفحة جديدة وصلاح لأحوال المسلمين في كل مكان، وجمع شمل الأمة على كلمة سواء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على
رسولنا الأمين، محمد بن عبد الله ورسوله
الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه
الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى
يوم الدين، وبعد

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي
الله صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَ فَيَمَنْ كَانَ
قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ
عَنْ أَعْلَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ
فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ
تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ
عَنْ أَعْلَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ:
إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ:
نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى
أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنْ بِهَا أَنْسَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ
فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا
أَرْضُ سَوَاءٍ، فَاَنْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ
أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ
وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ
تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ
الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمُ مَلَكٌ
فِي صُورَةِ أَدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا
مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيْتَهُمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ
لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي
أَرَادَ؛ فَخَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ
الْحَسَنُ: ذَكَرْنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصُورِهِ»
[أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء (٥٩١/٦) (٣٤٧٠)
ومسلم في التوبة باب قبول القاتل
وإن كثر قتله (٨٣/٨٢/١٧)، وغيرهما.

وفى هذا الحديث من الكنوز والفوائد الكثير
لمن تدبر فيه، وها نحن نذكر بعضاً منها،
وبالله تعالى التوفيق:

الأولى: الاعتبار بما مضى في السابقين، وبمن
كانوا قبلنا، فقد كان منهم من رضي الله عنهم
وتقبل منهم، وأقال عثرتهم وأنار بصيرتهم،
فكل من طلب من الله تعالى العفو، عليه أن
يستقيم على أمره، ليقبل منه ويتجاوز عنه،
وأن من لم يعتبر بغيره ويرجع عن غيه، كان



نظرات في حديث توبة قاتل المائة

الحلقة الأولى

إعداد / محمد رزق ساطور

عبرة لمن يأتي بعده، فالنبي صلى الله عليه وسلم يربط هذه الأمة بمن سبقها على طريق التوبة والإيمان؛ لأن دين الأنبياء واحد وهو الإسلام وحتى يعلم المسلمون أننا لا نسير في طريق التوبة وحدنا، بل لقد سار في هذا الطريق كل الأنبياء والمرسلين وأتباعهم الذين صدقوا في إيمانهم، أما من بدل وغير فإننا نبرأ إلى الله تعالى منه بل ويبرأ منه الأنبياء والمرسلون ومن صدق من أتباعهم.

الثانية: أن قساوة القلب، والبعد عن الله، والجهل واقتراف المعاصي، وفعل القبائح والسيئات لها حد ولها نهاية، من وضع لها حداً في الدنيا بالتوبة فقد فاز، وإلا كانت النهاية في النار. عياداً بالله منها . فهذا قاتل محترف قتل تسعة وتسعين نفساً، وبعد ذلك يمل من كثرة هذه القبائح، ويكرهها، ويريد الهرب والبعد عنها، ويرجو رحمة ربه سبحانه، ويطلب التوبة ويسأل عنها، فطريق العصيان كله ملل ونصب وشقاء وهلاك وتعَب، فالمخالفات من شأنها أن تهلك القلب ولا تسعده، ترى ماذا كان يريد هذا الرجل بعد أن قتل تسعة وتسعين نفساً؟ ربما كان سعيداً سعادَةً مؤقتة زائفة بذلك، وربما كان يُثبت لنفسه هذه السعادة الزائفة بقتل الأنفس، ومع ذلك ما وجد مما فعله إلا الشقاء والضيق والرعب والفزع، والاضطراب والقلق، هذا حينما أبصر الحق وزالت عنه غشاوة الباطل، فلا بد من حل للخروج من هذه الأزمت، إن ذلك لا يكون إلا بالقرب من الله تعالى والتوبة له، والانقياد لأمره تعالى، ولذلك لما وقف الراهب ليحول بينه وبين الله، والنور الذي شعر أن فيه نجاته، أحس أن ذلك الراهب يحول بينه وبين السعادة الحقيقية وأراد أن يرده إلى الوحل وإلى ما قاسى منه من هلاك وضيق ودمار و...، فلذلك قتله غير آسف على قتله، ليجد بعدها العالم ليرشده حتى تكتمل سعادته.

الثالثة: قصور عقول بني آدم، وعدم إدراكها لكثير من مصالحها وأنها قاصرة

عاجزة ما لم ترتبط بالشرع، فلو أن إنساناً فكر بعقله، في شأن قاتل محترف، ومجرم سفاك للدماء قتل تسعة وتسعين نفساً، هل يهتدي للتوبة؟ إن العقل بكل مقدماته وبديهياته وتحليلاته ونتائجه سوف يخرج تصوّره عن هذا القاتل بأن حواسه أغلقت، فالبصر أعمى لا أمل في أن يبصر والقلب ميت لا أمل في حياته، والأذن صماء لا يمكن أن تسمع الحق، واللسان كذلك، وأعضاؤه مهية لكل شيء ما عدا الحق، ثم يشاء العليم الخبير أن يختم لهذا العبد خاتمة طيبة، فلا يمكن منه أحداً ليقتله قبل أن يتوب، فلا تدركه منية حتى يسأل ويعزم العودة، ويقبل على الله ليقبل منه توبته، وهذا من رحمة الله بالتائبين، فلا بد للعبد أن يشغل نفسه بالله ويرجع إليه ليوفقه، ولا يستعظم ذنوبه، قاله وعد بالغفران، فلا بد من الرجوع السريع والله الموفق.

الرابعة: لم يكتف هذا الرجل بالسؤال عن أي عالم فهو يريد توبة تخلصه من كل ذنوبه فيريد أفضل العلماء، لم يسأل أحداً من حاشيته وصحبته فهو أدرى الناس بهم، وقد استقر في النفوس والفطر أن الحق والهداية والنور لا يدل عليهم إلا أهل العلم، لذا بدأ رحلة البحث عن كيفية التخلص من ذنوبه، ومن الظلم الذي اقترفته، فقد استشعر أن حالته لا يصلح فيها أي عالم، بل يريد أعلم أهل الأرض ليدله على خلاصة الأمر ليستريح من ذلك العناء والنصب، وحينما لم يجد بُغيته في المرة الأولى لم ييأس، وظل يسأل عن أعلم أهل الأرض حتى وفقه الله إلى عالم فتاب على يديه.

الخامسة: أن التائب حين سأل الناس عن أعلم أهل الأرض، فدلّه من سألّه عن العالم بحسب ما يعرف، فبعض الناس يظنون في العالم الظنوناً، فمنهم من يعتبر كل من نسب إلى الدين عالماً، كأولئك الذين ينتفعون بالدين ويقرءون القرآن على القبور نظير الأجور، أو المتصوفة الذين يتمسحون بالقبور ويدعون الناس للاستغاثة بهم

وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟»، فالعلاقة بين العبد وربّه موصولة دائمة، فلو أن العبد قطعها وانغمس في شهواته وانطوى على ملذاته، وذاب في رغباته، فإن الله تعالى لا يقطعها، فهو الذي يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، والعالم مُطالب أن يدل الناس على الله وعلاقة العبد بربه لا يطلع عليها إلا الله، فإن شاء قبل منه وغفر له وعفا عنه «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يُؤْذُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ» [الأنفال: ٣٨].

الثامنة: أن العالم لا يقف عند حد الفتوى الجافة، ولكن عليه أن يُوجد لهذا السائل مخرجاً كريماً، ويساعد فيه العاصي على أن يتجاوز المحنة، ويرفع عنه عناء الذنوب، ويدله على الطريق، ويبصره بطبيعة هذا الطريق، فلقد كان من الممكن أن يكتفي العالم بأن يقول لهذا الرجل: نعم باب التوبة مفتوح، فتب إلى الله، ويسكت عند هذا الحد، ولكن العالم لم يكتف بذلك، بل إنه دله كيف يعمل؟ فقال له: (أَنْتَ أَرْضُ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ بَهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ) فدله على قوم صالحين يعبد الله معهم في أرض كذا، وسماها للرجل؛ لأن صاحب المعصية مهما صحت توبته فهو في حاجة إلى من يعلمه ويوجهه، ومن هنا فإن العالم ينبغي أن يجيب السائل بأكثر من السؤال، أو بما وراء السؤال، ولذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا نَزَجْنَا الْبَحْرَ، وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطَشْنَا، أَفَنَتَوَضَّأُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ؟) فَقَالَ: هُوَ الطَّهْرُ مَأْوُهُ، الْحِلْ مَيْتَتُهُ [أخرجه مالك في الموطأ والنسائي وابن خزيمة وابن ماجه وأحمد]، فلم يجبه بما سأل عنه فحسب، بل بما يفيد وينفعه.

التاسعة: أن العالم له فضل على العابد؛ لأن الذي أفناه أولاً بأن لا توبة له، غلبت

والملاذ بقبورهم، أو ينتسبون بالعلم بالكلام دون العمل، هؤلاء يحسبهم الناس علماء، أو بشكلهم أو هيتهم، فلما دله الناس على من اعتبروه أعلم أهل الأرض بظنهم، أحس لما وقف بين يديه وكلمه أنه ليس هو العالم ومن ثم فليس هو المطلوب، فنور العلم لم يظهر ونصح العالم ورفقه وحلمه غاب واندر، وظهر الجهل والحمق والتسرع في الأحكام، فافتى بغير علم وصدّ التائب عن الطريق وحجب الرحمة عن التائب حتى ضاق الرجل به ذرعاً ولم ير بداً من قتله، ثم عاد التائب ليسأل الناس عن أعلم أهل الأرض، ولم يئأس من الوصول إليه، ولم يحكم على الكل بما وجد في البعض، فهذا الرجل مع ما فيه من ظلم وقتل وضلال لم يقل: كلهم على هذا الحال، بل كان منصفاً، وعاد ليسأل الناس عن أعلم أهل الأرض حتى وفقه الله إلى عالم فتاب على يديه.

السادسة: حينما أفتى الراهب هذا الرجل بأنه لا توبة له، أفناه بجهل وكانت هذه الفتيا سبباً في قتله، وأما العالم فحين أفتى نفس الرجل أفناه بعلم، فانقاد له وأذعن ولم يخالفه، ولم يعترض عليه ونفذ كل ما أمره به، وهذا من بركة العلم وكذلك فإن العلم يجعل صاحبه يستوعب الجاهل والمجرم والقاتل فيؤلف قلبه، ويداوي جرحه ولا يتأفف من رائحة المعاصي التي تفوح منه، ولذلك فإن أهل العلم هم الأطباء والممرضون والخدم للخلق، فلا ينبغي أن يُقنطوا الناس من رحمة الله، بل التوبة مفتوحة حتى الغرغرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنْ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَغْرَرْ بِنَفْسِهِ» [أخرجه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن وهو ثقة].

السابعة: إن العالم هو الذي يحبب الناس في الله، ويرغبهم في رحمته، ويبين لهم سعة حلمه وعفوه وكرمه لمن تاب وأناب، ولذلك قال العالم للرجل: «مَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ

عليه العباد، فاستعظم وقوع ذلك القتل الكثير، وأما الثاني وهو العالم فغلب عليه العلم، فأفتاه بالصواب ودله على طريق النجاة، وفي هذا فضل العلم وطلبه، خاصة في هذا الزمان الذي قل فيه طلاب العلم وكثر فيه الجهل والتنافس على الدنيا، عن أبي أمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً؛ أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير» [أخرجه الترمذي وصححه الألباني].

وعن أبي هريرة قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كان رجلان من بني إسرائيل متواخيين؛ أحدهما مجتهد في العباد، والآخر مذنب، فأبصر المجتهد المذنب على ذنب، فقال له: أقصر، فقال له: خلني وربّي، قال: وكان يعيد ذلك عليه، ويقول: خلني وربّي، حتى وجده يوماً على ذنب فاستعظمه فقال: ويحك أقصر، قال: خلني وربّي، أبعت علي رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك أبداً، أو قال: لا تدخلك الله الجنة أبداً، فبعث إليهما ملك فقبض أرواحهما، فاجتمعا عنده جل وعلا، فقال ربنا للمجتهد: أكننت عالماً أم كنت قادراً على ما في يدي أم تحظر رجمتي علي عبدي؟ اذهب إلى الجنة تريد المذنب، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار، فوالذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته» [أخرجه أبو داود وابن حبان قال الألباني إسناده جيد].

العاشر: فضل الصحبة الطيبة، واختيار صاحب الذي يذكرك بالله، ولا يحرملك من نصيحته، يحافظ عليك حتى من شر نفسك التي بين جنبك، ولذلك، إن من بركة هذه الصحبة الطيبة أن غفر الله لهذا الرجل

بنية اقترابه من الصحبة الصالحة، فإن كان من يقترب من الصحبة الصالحة يُصنع معه ذلك، فما بالك بالصاحب الخليل والرفيق القريب، ففي الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة» [أخرجه البخاري في صحيحه].

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاً، يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنتهم، حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم؟!..... قال فيقول: قد غفرت لهم، فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، قال: فيقولون: ربنا فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرت؛ هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» [أخرجه البخاري ومسلم].

الحادية عشرة: التحول عن مكان المعصية من أنفع الأدوية لمفارقة المعاصي؛ لأن وجود العبد في نفس المكان الذي تعود فيه على الفحش والمخالفات ربما يحن الإنسان للمعاصي وهو في نفس المكان، أما البعد عنه فإنه يولد الإحاش منه، ويعلم أن هذا المكان، كان سبباً في هلاكه، فيبغضه لنفس السبب، ولذا فإن البعد عن مكان المعصية علاج نافع، ولو كان هذا البعد مؤقتاً، فإن هدى الله أهل المكان الأول جازت العودة لهم؛ لأنهم سيساعدوه على الاستقامة، أما إذا خلا عن ناصح أمين، فالانسلاخ أولى والبعد أنفع. والله نسأل الهداية والرشاد وحسن الخاتمة.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

تأسيس تيار الوسطية الإسلامي في سوريا

جمال سعد حاتم

إعداد

وينطلق في رؤاه وتصوراتهِ من إيمانه بصلاحيّة الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان وعدالة أحكامها، ويعتبر جهد العلماء المسلمين في بيان أحكامها إرثاً كبيراً يهتدي به، ولا يجوز الجمود عليه ولا الجحود له، ويرى ضرورة المحافظة على وحدة سوريا شعباً وأرضاً، ويكفل ويضمن حقوق الأقليات كما كفلها الشرع لها، ويعتمد الشورى سبيل الحكم في الأمة، وآلياتها خاضعة للاجتهد، ويؤمن بأهمية نشر العلم الشرعي والوعي الصحيح لرسالة الإسلام.

ويسعى التيار بكل جهوده لإسقاط النظام الأسدّي بكل رموزه ومحاسبتهم ودعم الكتائب المجاهدة ضد النظام بكل أطيافها، وتعويض المتضررين خلال الثورة ورعاية أسر الشهداء، ويتعاون مع كل الأطياف لتحقيق أهداف الثورة، ويسعى من خلال الدعوة في كل مجالاتها والمساهمة في العمل السياسي لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في كل مجالات الحياة.

وبعد مناقشات خلال يومين من الإخوة المجتمعين بتاريخ ٥، ٦ ذي الحجة ١٤٣٣هـ، ٢٠، ٢١/١٠/٢٠١٢م، تم تأسيس تيار الوسطية الإسلامية وتسمية الدكتور أحمد فارس السلوم رئيساً للمجلس التأسيسي له، وتفويض الدكتور أيمن هاروش ليكون متحدثاً عنه.

نسال الله تعالى أن يكون هذا التيار خادماً لدينه، ويوفقه لحمل رسالة الإسلام كما جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم وكما حملها سلفنا الصالح، وأن يقيم حكماً إسلامياً ينعم به أبناء بلدنا الحبيب بكل أطيافه القومية والدينية.

المؤسسون:

١. د. أحمد بن عبد الكريم نجيب.

٢. د. أحمد بن فارس السلوم.

٣. د. سعد بن عبد الكريم العثمان.

في ظل الأحداث الجارية في القطر السوري الشقيق وما يلاقيه الشعب السوري عامة، واهل السنة خاصة، فقد تم تأسيس تيار الوسطية الإسلامي، وهو تكتل دعوي سياسي يعتمد على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وقد أصدروا البيان التأسيسي التالي:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمنذ أن خطف النظام الأسدّي الحكم في بلدنا الحبيب سعى جاهداً لمحاربة الإسلام بشعائره ورموزه، ونكّل بالمسلمين والعلماء الربانيين خاصة خلال العقود الماضية، حيث هجر رموزهم من البلد، وشوّه صورة الإسلام ومبادئه بين الناس، وسخر إعلامه وأزلامه لهذه القضية، وأثار النعرات الطائفية في البلد بشكل هدد السلم الأهلي بينهم، وعندما قامت ثورة العزة والكرامة كان لأهل السنة والجماعة الدور الأكبر فيها، من خلال المظاهرات والدعوة، والمشاركة في العمل المسلح.

وإيماناً منا بضرورة العمل الجماعي المنظم، وحاجة الأمة لحكم عادل ورشيد، وبعدالة الشريعة الإسلامية وأنها النظام الكفيل بتحقيق الرقي الإنساني والسلم الأهلي والعدالة الاجتماعية، والحامي للفضيلة والحريات، ونظراً لحاجة الأمة لمكون دعوي سياسي إسلامي يجمع بين فهم النص وفهم الواقع، ليبنى دولة إسلامية تحمل رسالة الإسلام وتواكب مقتضيات العصر وتنافس الأمم في الريادة والقيادة، فقد تولدت الرغبة لدى الكثير من الإخوة لتشكيل تيار يحقق هذه الأهداف، فكان تيار الوسطية الإسلامي.

إن تيار الوسطية الإسلامي هو تكتل دعوي سياسي إسلامي يعتمد الكتاب والسنة بفهم السلف مرجعاً له، ويسعى لإقامة دولة إسلامية راشدة، ورغبة منا في تحقيق الوسطية استلهمنا اسمه من قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا» [البقرة: ١٤٣].

هل تعرف كيف ترد الإساءة عن النبي ؟

إلا تنصروه



حقيقية
تعرفك
على النبي
من كتابين

بدلاً من

40

جنيه

فقط ادفع

25

جنيه



لطفاً اتصل لتعرف مصروفات الشحن لعنوانك

الأدلة الجلية على صدق خير البرية

اطلبه الان 24549557 - 24557677

01019121925 - 01144416688



www.facebook.com/ALBAYANEGY

تابعوا مجلة نصرة النبي برعاية مجلة البيان

مفاجأة سارة

الآن

موسوعة التوحيد

ببلاش



● بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بالجمهورية .

● الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .

● أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .

● استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقَدِّم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر .

● من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له

أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكَّى من الفرع .

● يتم ملأ نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق من قبل الفرع موجود علي موقع أنصار السنة

وصفحة فيسبوك رئيس التحرير ومجلة التوحيد



هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات
عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي
يسلم بعد طبعه للفرع والمشتريين

٨ شارع قولة - عابدين

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦